

دليل الطالب

١٩٦٧

٧

صناعة النادر والناظم

جمعة الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني

نظر فيه وضبطه وصححه

العلامة العويّتي الشيخ ابراهيم البازجي

حتى طبعة محفوظة

طبع ثامنة في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٩٠

مرخصة مجلس معارف ولاية سورية الحليّة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَجْيَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ الْفَصَاحَةِ
 وَالْبَيَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى دَلِيلًا
 عَلَى الْمَجْنَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَهَا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ قَدْ
 أَخَذَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
 الْفَصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مَثَوْنِ الْمَهَارِقِ فَضْلَ مُطَرَفِهَا فَغَاصَتْ
 أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلْتَقِطُهَا مِنْ خِلَالِ
 جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ فَرَاحِجِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
 الْقُحْدِيِّ عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْبُضْمَارِ رَأَيْتُ أَنِّي
 أَتُحِفَ الْمَتَادِيرِينَ وَمَنْ نَظَمْتَهُمْ حَلَقَاتُ الْمَدَارِسِ فِي هَذَا
 الْعَصْرِ بِسَفَرٍ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 الْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا

الْكِتَابَ مَا خُودًا عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنِّ جَمِيعًا وَرَبَّنُّهُ أَبْوَابًا وَفُصُولًا تَقْلُتُ فِيهَا نُصُوصُهُمْ
وَرَصَعَتُهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرَصُّعًا ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَفْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَالِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُرْسَلِينَ وَالْكِتَابِ لَتَكُونَ مِثْلًا بِجَنْدِهِ السَّالِكُ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشَمَتِهِ
أَخِيرًا بِقَرَرٍ مُتَّفَقَةٍ تَقْلَتُهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانِ شَتَّى مِنْ
الْوَصْفِ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطَرَّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهَرُ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فِيهِتَدِي إِلَى تَرَائِبِ أُخْرَى
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَكَّا تَسْنِي لِي جَمْعُهُ وَاتَّسَقَ
وَأَنْتَظِمَ شَمْلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النَّسَقِ وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ
حَضْرَةِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ وَالْأَسْنَادِ اللَّغْوِيِّ الْفَهَامَةِ السَّيِّدِ
إِبْرَاهِيمَ الْيَارِجِيِّ فَسَخَّ اللَّهُ فِي مَدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِي الْفَوَائِدِ صَافِي
الْمَوَارِدِ يَنْفَعُ عَلَى فَلَاحِهِ غُلَّةُ الصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ

الْبَادِي وَالشَّادِي وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّاطِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطُّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِحَائِمَةِ الثَّوَابِ بِمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم وفيه ستة فصول

- | | |
|----|--|
| ١ | الفصل الأول في شرف العلم |
| ٥ | الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم |
| ١١ | الفصل الثالث في أوائل العلم ومداخله |
| ١٢ | الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته |
| ١٥ | الفصل الخامس في استعمال العلم |
| ١٦ | الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الجديدهم |

الباب الثاني

في صناعة الكاتب وفيه عشرة فصول

- | | |
|----|---|
| ١٩ | الفصل الأول في اركان الكتابة |
| ٢١ | الفصل الثاني في ادوات الكتابة |
| | الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسمان |
| ٢٤ | القسم الأول في اللفظة المفردة |

٢٢	القسم الثاني في الكلام
٤٠	الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
٤٤	الفصل الخامس في السجع
٤٨	الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعلوه
	الفصل السابع في الفصاحة والبلاغة وفيه قسمان
٥٤	القسم الاول في الفصاحة
٥٨	القسم الثاني في البلاغة
٦١	الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات
٦٨	الفصل التاسع في التخلص والاقتراب
٧٥	الفصل العاشر في الختام

القسم الثاني

في شذرات مختلفة من اقوال الكتاب وفيه فصول

٨١	فصل في حسن التواصل
٨٧	في الاستعطاف والاعتذار
٩٦	في العتاب
٩٨	في التنصل
١٠٥	في المدح والشكر
١١٠	في العيادة
١١٢	في الإهداء
١١٤	في التهاني
١١٦	في الاستزارة

١١٩	فصل في الوصاة
١٢١	في الشكوى
١٢٧	في التعازي
١٢٩	في الخطب
١٤٦	في الذم والقطعة
١٥٠	في الدعاء
١٥٣	في القول عند الوقوف على القبور

خاتمة في الوصف

١٥٦	في وصف البلدان
١٥٦	في وصف القلاع
١٥٧	في وصف الدور
١٥٧	في وصف الديار الخالية
١٥٨	في وصف ايام الربيع
١٥٨	في وصف الرياض
١٦٠	في وصف طول الليل والليل وما يعرض فيه من الهموم والفكر
١٦٠	في وصف انتصاف الليل وتناهي انتشار النور واقول النجوم
١٦١	في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه وابتدائه وانتهائه
١٦٣	في وصف الرعد والبرق
١٦٣	في وصف مقدمات المطر
١٦٤	في وصف الثلج والبرد وايام الشتاء
١٦٤	في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

١٦٤	في وصف القبط وشدة الحر
١٦٤	في وصف الشيب
١٦٥	في وصف آلات الكتابة
١٦٦	في وصف الخطباء
١٦٧	في وصف العلماء
١٦٨	في وصف البلغاء
١٦٩	في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظر والنثر
١٧٠	في وصف الامراء والاشراف
١٧٢	في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
١٧٥	ذيل في الادعية في خواتم الكتب

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته
وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إِعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب. وأنفع ما كسبه وأقتناه الكاسب. لأن شرفه يثمر على صاحبه. وفصله ينمي على طالبيه. قال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقمتم. وإن كنتم وسطا سددتم. وإن كنتم سوقة

عَشْتُمْ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُومُ مَكَ
وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا. وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا. وَيُصْلِحُ زَيْغَكَ
وَيُفَاسِدُكَ. وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ. وَيَقُومُ عِوَجَكَ وَمِيلَكَ.
وَيُصْلِحُ هِمَّتَكَ وَأَمْلَكَ. وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا. وَقَالَ بَجْحَى بْنُ خَالِدٍ لِأَبْنِهِ عَلَيْكَ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ الْهَرَّةَ عَدُوَّ مَا جَهِلَ وَأَنَا
أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوَّ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ. وَأَنْشَدَ
تَنْفَنَ وَخَذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّهَا
يَفُوقُ أَمْرُوهُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ

بِهِ وَلِئَلَّا أَنْتَ تُنْقِضَهُ سَلِمُ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عَزٍّ لَا يُوطِئُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مُضِلَّةٌ. وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمَلِكَ فِي
عُلَمَائِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
يَمْنَعُهُمُ مِنَ الظُّلْمِ. وَيُرُدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ. وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

الْأَذِيَّةَ وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ. فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ
 الْمَالِ. الْعِلْمُ بِحَرْسِكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ. مَاتَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَانُ
 الْعِلْمِ. أَعْيَانُهُمْ مَقْنُونَةٌ. وَأَشْخَاصُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ
 وَرَبَّمَا أَمْتَنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِهِ وَاسْتِحْيَاؤِهِ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِي بِالْأَجْهَلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ. وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْأَجْهَلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَغْبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أُولَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَئِنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أُولَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرَبَّمَا أَمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِتَعَذُّرِ الْمَادَّةِ وَشُغْلِهِ
 أَكْتِسَابَهَا عَنِ التَّمَسُّكِ بِالْعِلْمِ. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ فَلَمَّا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ
 مُسْتَعْبِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانُ أَكْتِسَابٍ وَلَا بُدُّ لِلْهَيْكَلِ مِنَ الْأَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامٍ عَطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكَسْبِ حَتَّى

لَمْ يَتْرِكْ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عِبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَاجُ الْخُرْصِ
 وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبَعْدُ
 غَايَتِهِ وَبِخْشَى مِنْ قِلَّةِ ذَهْنِهِ وَبَعْدُ فِطْنَتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ أَعْدَارُ
 ذَوِي النَّصِّ وَخِيفَةُ أَهْلِ الْعِزِّ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخَشْيَةُ قَبْلَ الْإِبْتِلَاءِ عَجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خَبِيَّةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ

وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِيُنَبِّهَ يَا بَنِي تَعَلَّمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنَّ لَمْ تَتَأَلَّوْا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يُذِمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُذِمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْرِأً.
 وَلِمَنْ اسْتَكْرَأَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 أَحْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يَسُوفَ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُهْنِيهَا بِإِقْطَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْضِي

تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنَّمَا يَتَسَيَّرُ اللَّهُ قَاصِدًا وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنَبِيٍّ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ



الْفَصْلُ الثَّانِي

فِي مَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِيَّ فِي طَلَبِهِ . وَيَتَهَيَّزَ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِهَا سَحَحَ . وَضَنَّ بِهَا مَنَعَ . وَيَتَدَبَّرُ مِنْ
الْعِلْمِ بَأْوَالِهِ . وَيَأْتِيهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَشَاغَلُ بِطَلَبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مَذْهَلَةً . وَشُدُورًا مُشْغَلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَمَّا هُوَ أَهْمٌ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يُحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُحْكَمَاءِ بَتَرَكَ مَا لَا يَعْنِيكَ . تُدْرِكُ مَا يُعْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنْ
ذَلِكَ مِنْ فُضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْإِسْتِغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةٌ النَّوْكَى وَعِذْرُ الْمُتَصَرِّينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا ائْتَمَعَ
 عَلَيْهِ الصِّدْقُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصِّدْقَ
 إِلَّا مُبْتَنِعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهَلَهُ سَهْلٌ عَلَى
 مَنْ عَلِمَهُ . لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُشَوَّعَةٌ فِي كَلَامٍ
 مُتَرَجِّمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْبِلٌ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مُسَمَّوعًا وَمَعْنَى
 مَفْهُومًا فَالْلَفْظُ كَلَامٌ يُعْقَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يَفْهَمُ
 بِالْقَلْبِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجِهٍ . قَلْبٍ مُفَكِّرٍ . وَلِسَانٍ مُعَبِّرٍ . وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ . فَمَنْ عَقَلَ
 الْكَلَامَ بِسَمْعِهِ فَفَهِمَ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَهِمَ الْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ
 كَلْفُهُ اسْتَخْرَاجُهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مَعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِقْرَارُهَا لِأَنَّ
 الْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِالْإِغْفَالِ . وَالْعُلُومُ وَخْشِيَةٌ تَنْفِرُ
 بِالْإِرْسَالِ . فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ انْسَتَ وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
 الْإِنْسِ رَسَتْ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْمَذَاهِبِ
 بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عِلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَقَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا
 فَكَمْ جَامِعٍ لِلْكَتَبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْإِيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
 وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعَلَلِهَا يُوصَلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَذَّ وَصَلَا حِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخَلُو
السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِنَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ
نَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بَلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

الْأَحَالُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ لَزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
فَتَصِيرُ الزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ سَامِعِهِ

وَالْأَحَالُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ لِبُوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَةِ دُونَ
الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَصِّرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكْدُ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ
دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَارٍ غَيْرِهِ أَوْ لِحَبِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرٍ
فَهَمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِيرِ فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِخَصَرٍ وَالزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهِّلْ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُولًا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُغْضَلُ مِنْهُ أَكْثَرَ
مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى السُّوْءُ ظَنُّ الْمُتَكَلِّمِ بِفَهْمِ السَّامِعِ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَابْعُدْهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ
مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مَكَلِّبُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطٍ
ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبِيهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ الْأَسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ
الْتِقَادِ لَهُ فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ

مِنْ فَهْمٍ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النَّسْيَانُ
الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ وَيَكْدُ
نَفْسَهُ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصِيرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا وَالْجَهْلَ مَغْرَمًا فَيَحْتَسِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ
التَّعَبُ وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْأَسْتِرَاحَةِ وَرُبَّمَا
اسْتَقْبَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَأَتَكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمَطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تَعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا وَهَذِهِ حَالُ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ إِمَّا الضَّجْرُ مِنْ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاتِهِ وَطُولُ الْأَمَلِ فِي التَّوْفُرِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَشَاطُرِهِ
وَقَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزَمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّجْرَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلُ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيُ مُصَابٌ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي
كُتُبِكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُمَا يَهْتُ بِنَفْعِي

قَلْبِي وَعَالَمُهُ لَا بَطْنٌ صَدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرَبَّمَا أَعْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِللِّفَاطِ الْمَعَانِي قِيَمًا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا . يَرَوِي بَعْضُ رَوِيَّةٍ وَبَعْضُهُ عَنْ غَيْرِ

خَبْرَةٍ . وَرَبَّمَا أَعْنَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ

فِي كُتُبِهِ ثَقَّةً بِهَا اسْتَفَرَّ فِي ذَهْنِهِ . وَهَذَا خَطَأٌ لَمَنَّهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ

مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْيَانُ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَكَابِ نَوَافِرُ تَنْدُ عَنْ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حُمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رِعَاةً

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَقَّعُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّغْبِ . مَعَ مَا يُلَاحِظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيَهْدِيهِ مِنْ

الْمَعُونَةُ فَتَمِيعَةُ شُرُوطِ

أَحَدَهَا الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقُ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضُ الْعُلُومِ * وَالثَّالِثُ الذِّكَاةُ
الَّذِي يَسْتَقْرِ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَالرَّابِعُ
الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ *
وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَا دَاةُ تُغْنِيهِ عَنْ كَلْبِ الطَّلَبِ *
وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوْفَرُّ وَبَحْصُلُ بِهِ
الِاسْتِكْشَارُ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ الْقَوَاطِعِ الْمُذْهِلَةِ مِنْ هُمُومِ
وَأَمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طُولُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
بِالِاسْتِكْشَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمِ
سَخٍّ يَعْلَمُهُ مَتَانٌ فِي تَعْلِيمِهِ فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
التَّمِيعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَاصْخَجٌ مُتَعَلِّمٍ فَاحْفَظُوا لِلَّهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

فِي أَوَائِلِ الْعِلْمِ وَمَدَاحِلِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى آخِرِهَا وَمَدَاحِلَ
تُنْفِضِي إِلَى حَقَائِقِهَا فَلْيَبْتَدِئِ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

أَوَّخِرَهَا وَبِمَدَاخِلِهَا يُنْفِضِي إِلَى حَقَائِقِهَا. وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا خَرِ قَبْلَ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يُدْرِكُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ اسٍ لَا يُبْنَى. وَالشَّهْرَ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ
 لَا يُجَنَّى (من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِي مَا يَحِبُّ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إِيَّاهُمْ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا
 كَانَ عَلَى الدَّرَجَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرَّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ
 وَأَسْتَعْدَادُهُ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ بِحُصْلٍ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَائِبَةٌ أَنَّهَا هِيَ أَتَمُّ لَهَا الْفَنِّ وَتَحْصِيلُ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى
 مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْأَجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
مُهْمًا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ
أَسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُهَيِّدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
إِنَّهَا بِحَصْلٍ فِي ثَلَاثِ تَكَرَّراتٍ وَقَدْ بَحْصَلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقْلٍ
مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
وَإِفَادَتِهِ وَيُخْضِرُونَ الْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ
مِنَ الْعِلْمِ وَيَطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَالِهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ
مَرَانَةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَعِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
وَيَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِيهَا
وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ لَهَا فِيهِ
تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ
بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقَرُّبِ وَالْإِجْمَالِ
وَبِالْأَمْثَالِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
قَلِيلًا بِخُلُوفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِنْتِقَالَ
فِيهَا مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى الْإِسْتِعْيَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَنِمَّ الْمَلَكََةُ
فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا

الْفَيْتَ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَآءَاتِ وَهُوَ حَيْثُنِي عَاجِزٌ عَنِ
الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ
ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هَجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا
كَانَ أَوْ مُتَمْتِعًا وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعِيَهُ
مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصْلِ أَغْرَاضِهِ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَةِ
بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةً مَا فِي عِلْمٍ
مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا خُلِطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ مُعْجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَادْرَكَهُ الْكَلَالُ
وَانْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَسَّرَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى
الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا
لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْيَانِ وَاتَّقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

الْعِلْمُ وَأَوَّخِرُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْفِكْرِ مُجَانِبَةٌ لِلنِّسْيَانِ كَانَتْ
 الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ
 الْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِي
 الْفِعْلُ تُنَوِّسِيَتِ الْمَلَكَةُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ. وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْحَمِيدَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ
 أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ
 بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ أَلْبَالٍ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا إِلَى تَفَهُمِ الْآخَرِ فَيَسْتَفْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا
 بِالْحُجِّيَةِ. وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ
 فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِنَحْصِيلِهِ وَاللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى الْمُؤَفَّقُ
 لِلصَّوَابِ

(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ ثَبَرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ. وَثَبَرَةُ
 الْعَمَلِ أَنْ يُوجَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ مِنْ تِمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ. وَمِنْ
 تِمَامِ الْعَمَلِ اسْتِفْلَالُهُ. فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ.

وَمَنْ اسْتَقْلَّ عَمَلُهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو تَهْلُمٍ الطَّائِي
 وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَا قَاوَلًا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
 رَأَوْا طُرُقَاتِ الْعَجْزِ عَوَجَافَ ظِلْمَةٍ وَأَفْطَحَ عَجْزٌ عِنْدَهُمْ عَجْزُ حَارِمٍ
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ.
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
 يَحْمَدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ الْإِفْتِسَاسُ وَلَكِنْ
 فَقَدَ الْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَالْجُلَّ بِهَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَدِيدَةِ بِهِمْ
 أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
 بِهِمْ أَلِيقَ وَلَهُمْ الزُّمُّ فَالتَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ. لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ
 عَطُوفٌ وَالْعُجْبُ مُنْفَرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَقْبَحُ لِأَنَّ
 النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْأَعْجَابُ لِتَوْحِيدِهِمْ
 بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِهُ وَجَبَ
 الْعِلْمُ لَكَانَ التَّوَاضُّعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أَحْرَى
 لِأَنَّ الْعُجْبَ نَقْصٌ يَنَافِي الْفَضْلَ وَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ الْمُحْطَبَ فَلَا يَنِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِهَا لِحَقِّهِمْ
 مِنْ تَقْصِ الْعَجَبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ وَلِيَتَوَاضَعَ
 لَكُمْ مَنْ تَعَلَّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شَبْرًا
 سَمِعَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّ نَالَ. وَمَنْ نَالَ الشَّيْبَرُ الثَّانِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّ نَالَ. وَأَمَّا الشَّيْبَرُ الثَّلَاثُ فَهِيَ هَاتِ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحَ ذَلِكَ بَيَانًا اسْتِعَاذَةُ الْجَاهِظِ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّكْلِيفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا
 نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجَبِ بِمَا نُحْسِنُ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْمَحْصَرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمُ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَنْتَهَى عَلَيَّ تَنَاهَيْتُ عَنْهُ أَطَالَ فَأَمْلَى أَوْ تَنَاهَيْتُ فَأَقْصَرَ

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْهَرَّةِ فِعْلُهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْهَرَّةُ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ فَضْلِ عَلَيْكَ اسْتِثْلَاكَ لِعَلِّمِكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عَلَيْهَا وَلَا يَجَاوِزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مُقْصِرًا فَيُذْعِنَ بِالْإِتْقَادِ أَوْلى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيمَا عَلَيْهِمْ أَوْ جَهْلُهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَأَسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٍ فَذَكَرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشَدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَأَرْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يُسْأَلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعلم أنَّ أَرْكَانَ الْكِتَابَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بِلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ
 الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَةٌ وَرَسَاقَةٌ
 فَإِنَّ الْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ الْمَطْلَعِ وَالْمَطْمَعِ. أَوْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى
 مَقْصَدِ الْكِتَابِ وَهَذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ الْمَبَادِي وَالْإِفْتِنَاحَاتِ^(١)
 فليَحْذَرُ حَذْرَهُ وَهَذَا الرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
 الرُّكْنُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ الْكَاتِبِ مِنْ مَعْنَى إِلَى
 مَعْنَى بِرَابِطَةٍ لِيَكُونَ رِقَابُ الْمَعْنَى آخِذًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا
 تَكُونَ مُتَضَبَّةً وَلِذَلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ التَّخْلِصِ
 وَالْإِفْتِضَابِ^(٢). وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّلَاثُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ
بِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ . وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظًا غَرِيبَةً
فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةِ
مَسْبُوكَةً سَبْكَاً غَرِيباً يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَهُنَاكَ مُعْتَرِكُ الْفَصَاحَةِ
الَّذِي تُظْهِرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بَرَاعَتَهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتَهَا كَمَا
قَالَ الْبُخْتَرِيُّ

بِالْفَلْظِ يَقْرُبُ فِيهِ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ يَحْتَاجُ إِلَى لُطْفِ
ذَوْقٍ وَشَهَامَةٍ خَاطِرٍ وَهُوسِيَّةٍ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ . فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنْ مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِهِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ
الْمَالُوفَةُ وَلَكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ . وَإِذَا
سَمَوْتَ أَيْهَا الْكَاتِبُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَسْتَطَعْتَ طَعْمَ
هَذَا الْكَلَامِ الْمُبَارِكِ إِلَيْهِ عِلِمْتَ حَبِثِذَا أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
فِي بَدَنِكَ أَلَنِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا
النَّاطِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعْنَى
بِحَيْثُ يُوتَى بِاللَّفْظِ الْمُوصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَا حَةٍ وَلَا
يَكُونُ نَحْنُهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُمِثِّلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
كَانَ كَصُورَةٍ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
أَبْلَهُ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
(انتهى عن المثل السائر ببعض نصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ
عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
وَالْأَسْمَاءِ مَا يَتَسَّخَّرُ بِهِ مِنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَأَنْظُرْ فِي
كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ وَمَجَاوِبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعَهْودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ النَّحْوِ
وَالْغَرِيبِ وَكُتُبَ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِيَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
أَيَّ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَيِّدِ وَعِلْمَ الْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَايِرِ الْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تَخَاطِبْ
خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجْنَالَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْخُلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكِتَابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأُدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كُلًّا عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَأَرْتِفَاعِهِ وَفُطْنَتِهِ وَاتِّبَاهِهِ وَتَخَيُّرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لِنَظْمًا
وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِبِزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةِ
بِمَعْيَارِهَا إِذَا سَمَحْتَ فَإِنَّهُ رَبُّهَا مَرَّةً بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعُلْ وَمَوْضِعٌ آخِرٌ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحَلَى مِنْ فَعَلْتُ .
فَادِرَ الْكَلَامِ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَبِيعِ وَجْهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ
رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي
مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَبْتَ الْمَوْضِعَ
الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضَعَ الْأَلْفَافِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّهَا هُوَ كَثَرَفِيعُ التَّوْبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
رِقَاعُهُ وَلَمْ تُقَارِبْ أَجْزَآؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَةِ وَتَغَيَّرَ
حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي

يُبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ التَّوْبَ مَرْفُوعٌ

كَذَلِكَ كُلُّهَا أَحْلَوَى الْكَلَامُ وَعَذِبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ
مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْجَا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ
وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا
بِلَفْظٍ مُؤْتَقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرٍ بِكَلَامٍ عَذِبٍ لَمْ يَسِبْهُ التَّكْلِيفُ
بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يَفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاقِهِ

وَقَدَرْنَا بِهِمْ شَبَهِوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَنِّينِ الظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْحَزَلِ لَفْظَ شَرِيفٍ جَزَلٍ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُتَسَقًّا وَتَضَاعَلِ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاعُلِ
الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْهَارِ الرَّثِيَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد العريد)

الفصل الثالث

في الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ قِسْمَانِ

القسم الأول

في اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ

إِعْلَمُ أَنَّهُ يَجْنَجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمَبْدُودَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُسَقَّى قَبْلَ النَّظْمِ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكِلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعَقْدِ الْمَنْظُومِ فِي
اقْتِرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمَشَاكِلَةِ لَهَا. الثَّلَاثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعَقْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً
 يُجْعَلُ اكْتِلَابًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ فَلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَفَا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ تَخْصُهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ.
 مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ. وَالثَّلَاثَةُ يُجْمَلَتُهَا بِالْمُرَادِ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْنِ
 الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَيْفَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
 رَائِحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
 وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ تَقْدِمَتِي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ نَصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَعَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

أَلَا لَفَاطٍ بِالْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَبِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ ^(١) وَفِي الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنًى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَّرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ أَلَا لَفَاطَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ لَا نَهَا مُرَكَّبَةً مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلَدَّهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحُسْنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا عَنْهُ فَهُوَ الْقُبْحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ تِلْكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَدَيْنَا فِي السَّمْعِ كَارَةً حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ تِلْكَ الْخَصَائِصُ وَالْهَيْئَاتُ فِي ضَمَنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاطِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسْجُوبِ وَيَبْنِي لَفْظَةً

الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِنْطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ السِّيفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْشَلِيلِ
وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدْوْكَسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخَطَابٍ وَلَا بِجَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهَا.
فَإِنَّهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى صِنَاعَةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُوهُ الْمُسْتَفْجِ
مِنْ الْأَلْفَافِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يُقَسِّمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْفَفَارَ وَلَيْسَ بِأَنْبَسٍ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَافُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَا نُوَسِّدُ الْأَسْتِعْمَالِ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْجًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلُ الْإِنْسَ
فِتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمِي
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يُخْتَلَفُ بِأَخْتِلَافِ النَّسَبِ
وَالْإِضَافَاتِ وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا
قُرُوبِي مُخَضَّرٌ. وَأَحْسَنُ الْأَلْفَافِ مَا كَانَ مَا لَوْفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَا لَوْفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِإِمْكَانِ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ
 نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبَّلُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدُّوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
 فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكَوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتْ فِي دَرَجَاتِ
 حُسْنِهِ فَأَلْفَاظُ إِذْنٍ تَقْسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ قِسْمَانِ حَسَنَانِ
 وَقِسْمٍ رَجِيحٍ. فَالْقِسْمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَّ اسْتِعْمَالُهُ
 الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَّ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
 الْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِيهِ وَهَذَا
 هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
 وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
 كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ.
 وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهْمُكَ أَيُّهَا الْبِتَائِلُ إِلَى قَوْلِ الْفَائِلِ الَّذِي
 غَلَبَ عَلَيْهِ غَلْظُ الطَّبَعِ وَفَجَاجَةُ الذَّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
 تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَبِذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَفْجِهُ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَفْجًا. وَالْإِسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحُسْنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي
صَوْغِ الْأَلْفَافِ وَاخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكْبِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَافِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَافِ وَاسْتِفْبَاحَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالْتَقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ
عِلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
النَّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تُقَلِّدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَافِ
فَإِنَّمَا هُوَ إِلَّا سِتْشَهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَأَلَاخُذُ

يَأْقُولَهَا فِي الْأَوْضَاعِ النَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَفُجْهَاتُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوَوِي لَا
يَتَغَيَّرُ بِإِلْزَامٍ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ
النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ
مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ الْفَحْشِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهَا
إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُغْلَظُ لَهُ التَّكْرِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا
فَلَا تَظُنُّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَقْبَلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقْبَلُ
اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخِيفُ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَقْبَلُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيَّانٌ أَحَدُهَا
أَنَّهُ غَرِيبٌ لَا اسْتِعْمَالَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاطْنِهِ وَغِلَاطْنِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا الْمَوَعِرَ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَاءَ ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَبِنْتُهُ مَا وَرَدَ لَنَا بَطَّ سَرًّا فِي
 كِتَابِ الْحِمَاسَةِ

يَظَالُ بِهَوَامَةٍ وَيُهْسِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ
 وَضَعْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ.
 فَتَأْ بَطَّ سَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْمَلَ الْقُبْحَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِابْنِ تَهَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحِمِ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَ

عَشَوَاءَ تَالِيَةٍ غُبَسًا دَهَارِيَسَا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحِمِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ

الْقَبِيحِينَ فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيمَةٌ عَلَى
الذُّوقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جُمَلِهَا

نَعْمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِدْرَ وَلَا حِيسُ
فَلَفْظَةُ جِدْرٍ غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنِئِيِّ
جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْحَفُونَ بِهَا بِهِمْ

شِيمَ عَلَى الْحَسَبِ الْأَغَرِّ دَلِيلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَحَ مَرَّةً الطَّعْمَ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَفْشَعَرَّ
مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتَعْمَالِ تَابَطَ شَرًّا لَفْظَةُ
جَحِيشَ . فَإِنَّ تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيهَا تَقَدَّمَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَفَحَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ
وَالْمُجْحَفُ الْفَخْرُ يُقَالُ جَفَحَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عَوَضًا
عَنِ جَفَحَتْ فَخَرَتْ لَا اسْتِقَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمَ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَمِثْلُهُ عَلَى مِثْلِ هُوَ لَا
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يَدَانِيهِ فِي فُجْهِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثِلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُنْلِمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ أَحْسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّهَا
تُنْلِمُ عَلَى الْغَرِيبِ أَفْضَحَ. وَأَمَّا الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُنْلِمُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي فِي الْكَلَامِ

فَدَرَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدْعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْأَفْصَحَ هُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ وَيَعْدُ مَتَنَاوُلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحْشِيًّا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُمُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَاءَ بَيْنَ لَكَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَقِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يُحْسَنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَجْزَلُ
مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْحُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْعَهْدِيدِ وَالْخَوْفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرَّقِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي مَسْجِلِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَائِنَاتِ الْأَسْطَعَاتِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَلَسْتُ
 أَغْنِي بِأَمْجَزٍ مِنَ الْأَلْفَازِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 عُنْجِيَّةُ الْبَدَاةِ بَلْ أَغْنِي بِأَمْجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عَذُوبَتِهِ
 فِي الْفَمِ وَلَذَائِثِهِ فِي السَّمْعِ. وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَغْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّفِيقُ الْحَاشِيَّةُ
 النَّاعِمُ الْمَلْبَسُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

نَاعِمَاتُ الْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا نَا بَسْ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَأِ الرَّقَاقِ
 وَسَا ضَرِبْتُ لَكَ مَثَلًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَازِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظِرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَفَارِقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَحْشِيًّا
 الْأَلْفَازِ وَلَا مُتَوَعِّرًا ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمَلَاطَفَاتِ فِي خِطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ
 الْمُنْبِيِّينَ وَالنَّائِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَازِ وَلَا سَفْسَافًا. فَمِثَالُ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَمْجَزُ مِنَ الْأَلْفَازِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورٍ رَبَّاهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ.
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِلسَّكَيرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ. فَنَامَلْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبِينَةَ ذِكْرَ الْحَشْرِ عَلَى
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرَ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَنَظَرَ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدَبَةٌ عَلَى مَا يَبْهَمُ مِنَ الْحِزَالَةِ. وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا ثَالِثُ الشَّانِ وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُحَاطَةِ النَّبِيِّ وَالنَّصْحِي وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا مَا
وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَئِي إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كِلَا هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مِنَ الْمَجْزَالَةِ وَالرِّقَّةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ فَيْصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاحِ ابْنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصْرِيفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تُخَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَعَظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُحْجَرٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِدِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَمَّدٌ بِجَنَهِلٍ مَا حِيلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَجَاوُزِ الْهَيْمِ إِلَى غَايَةِ الْإِرْجَعَةِ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَعْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْخُطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيئَتُهُ نِزَارًا وَالْيَسَنَ وَلَمْ
تُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةٌ دُونَنَا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحَجْرِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلْتَ أَكَارِمَنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُخْتَارَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفُهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَتَقْوَدَهُ
إِلَيْكَ بِسَعْيِهِ تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَاقٍ قَصَرَتِ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أُمْتُحِنَ بِهَا لِيكَ عَزِيزٌ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيئَتَهُ إِلَّا بِمَكْتَبِهِ
مِنَ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءَهُ بِهَا يَرْوَحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمَتِهَا
فَهِيَ الْوَفْءُ تُجَاوِزُ الْخُمْسَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْخَوَامِلُ
فَتَسْدِلُ الْأُزُرَ وَتَعْقِدَ الْخُمُرَ فَوْقَ الرَّايَاتِ. قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِحَجْرِ فِي
دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَعْنَاضَ جَهْلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سَبَةَ الْأَبَدِ

وَفَتَّ الْعَصْدُ. وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أُوجِبَتْهَا الْأَجَنَةُ فِي بُطُونِ
 أُمَّهَاتِهَا وَلَكِنْ أَكُونُ لِعَظْمِهَا سَبَبًا وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عِلْقًا
 إِذَا جَالَتْ الْأَحْمِلُ فِي مَازِقِ

نُصَافِحٍ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوسَا
 أَتَقْبَهُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْيَارِ
 وَأَبْلَى الْأَجْتِرَارِ بِمَكْرٍ وَأَذِيٍّ وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ثُمَّ تَهَضُّوا
 عَنْهُ وَقَبِيصَةٌ يَتَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ عَدَتْ
 كَتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَهْطُرُ
 فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ فَرُودًا يَنْفَرُجُ
 لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَائِبِ حَمِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ
 غَيْرِ هَذَا بَيِّنًا إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ
 فَلَنَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ فَبَيْصَةَ وَأَمْرِي الْقَيْسِ
 حَتَّى يَدَعَ الْمُنْعَبِقُونَ تَعَمُّهُمْ فِي أَسْعِمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
 الْأَلْفَافِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ
 الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاءِ لَا يَرَى إِلَّا شَجَةً
أَوْ قَبْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْحَضَرَ وَوَجَدُوا رِفَةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِي الْأَلْفَاظِ
وَشَظَفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يُجِلُّ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
الْفَصَاحَةِ وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِنْ شَدَائِسِنَا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُهَيِّئُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ
مِنَ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَوْ يَتَلَفَعُهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُتَصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُهَارًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ.
هَذَا ابْنُ دُرَيْدٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْخَيْرِيِّينَ
مُخْطَاطًا مَعَ أَنَّ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عَشْرَ مِثْقَالٍ مَا عَلَيْهِ. هَذَا الْعَبَّاسُ ابْنُ الْأَحْنَفِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْخَيْرِيِّينَ وَشِعْرُهُ كَمِهْرٍ نَسِيمٍ عَلَى
عَذَابَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوبَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرَرِ رَجَائِنٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةً وَاحِدَةً غَرِيبَةً بِحُجَاجٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ
(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

فِي انْقِسَامِ الْكَلَامِ إِلَى فَنِّي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فَنِّي الشِّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُتَقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ
أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ . وَفَنِّي النَّثْرِ وَهُوَ
الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى
فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي الْكَلَامِ . فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَالرِّثَاءُ . وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا . وَيُسْتَعْمَلُ
فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْأَجْمُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ . وَأَمَّا
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَشْهُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَتَّبِعِي إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِأَنْتَهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ
 التَّنْزَامِ حَرْفٍ بِكَوْنِ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ. وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّنْزِيمُ فِيهَا مَا
 يُتَنَزَّمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ. وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِأَمٍّ
 الْقُرْآنَ لِلْعَلَبَةِ فِيهَا كَالْحَجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سَمِيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي.
 وَانْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْفَنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخَرِ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصْصِ بِالشَّعْرِ
 وَالْمَحْمَدِ وَالِدَعَاءِ الْخُصْصِ بِالْخُطْبِ وَالِدَعَاءِ الْخُصْصِ
 بِالْخُطَابَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَشُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالتَّنْزَامِ التَّفْقِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا تَامَتْ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا
فِي الْوَزْنِ. وَاسْتَمَرَّ الْمَتَاخِرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَرْتَضَوْهُ
وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ
عِنْدَ الْكِتَابِ الْغَفْلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرَفْنَا
إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يَلَاحِظُ فِي
تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ
وَالْخُطَابِ. وَهَذَا الْفَنُّ الْمَشُورُ الْمُقْتَضَى أَدْخَلَ الْمَتَاخِرُونَ
فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ نُنْزِعَ الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ
عَنْهُ إِذَا سَالِبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذِيعَةُ وَخَلَطُوا الْجَدَّ بِالْهَزْلِ
وَالْإِطْنَابُ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِihَاتِ
وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ.
وَالْعُمُودُ فِي الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ يُعْطَا

الْكَلَامَ حَتَّى فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَلْحَالِ فَإِنَّ الْبَقَائَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ بَخْصُهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيْجَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخَطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيبِ الشَّعْرِ فَهَذَا مَوْجُودٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا اسْتِئْذَانًا الْعَجَبَةَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إعْطَاءِ الْكَلَامِ حَتَّى فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَلْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ
 الْكَلَامِ الْهَرَسِلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسْجَعِ يَلْتَقُونَ بِهِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى أَلْحَالِ فِيهِ وَبِحَبْرُوتِهِ بِذَلِكَ الْقَدَرِ
 مِنَ التَّرْبِيعِ بِالْأَسْبَاجِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفُلُونَ عَمَّا
 سِوَى ذَلِكَ وَكَثُرَ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتِّبَ الْهَشْرَقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى
 إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْأَعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَنِبُ عَانَ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ
 الصَّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْأَعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَنِيَّةَ
 الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ فَيَتَأَمَّلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ

لَكَ تَنْفَعُ عَلَى صِحَّةٍ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَلْمُوفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِهِنَّ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السجع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفُصُولَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى قَامَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ
ضُبْحًا فَالْمُتَرَنِّمِ بِهِ تَبَعًا فَوَسَطْنِ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ حَتَّى كَانَهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنْزِلَةٌ لِلْأَعْنِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْأَعْنِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عَيْبًا. فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْنَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. أَلَا
تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثِنَايَ لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ. وَيُسْتثنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فِقْرٍ فَإِنَّ الْفَقْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
نَحْمُ ثَانِي الثَّلَاثَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةً. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْحُجُوزَ يَعْمُ الْحَاجِبِينَ مِنْ
التَّسَاوِي فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ. مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ.
فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَنضُودٍ. وَظِلِّ مَهْدُودٍ. فَهَذِهِ السَّجْعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَكُلُّ جَعَلَتْ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَهَا كَانَ ذَلِكَ مَعْيَا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلُ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يَجِيءُ الْفَصْلُ الثَّانِي قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمُبْتَوْرِ
فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَعْتَرِذُ وَنَهَا

وَإِذِ انْتَهَيْنَا إِلَى ههنا وَبَيْنَا أَقْسَامَ السَّجْعِ وَلَبِثَ وَقُشُورُهُ
فَسَتَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلْبًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعُ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَافِظِ قَلِيلَةٍ وَكَلْمًا قَلَّتِ
الْأَلْفَافُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مَتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا وَالضَّرْبُ الْآخِرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَهْضَلُ مَتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صِغَ بِأَلْفَافٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ نَلَكِ
الْأَلْفَافِ وَضِيقِ الْعَجَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَافَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يُقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَنَفَاوُثٌ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ
فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَلْفَاظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَمِمَّا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النُّجُومُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ
دَرَجَاتِهِ تَنَفَاوُثٌ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثَةً مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى اثْنَتَيْ
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَكِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ.
وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَةٍ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. وَمِنَ السَّبْعِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ تَأْلِيفُهُ مِنَ الْعَشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ فَلْيَلَّاحُ وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا مِمَّا فَتَلَسَّتُمْ
 وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. وَمِنَ
 السَّبْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مُضَبَّوْطٍ

(عن المثل السائر)

• الْفَصْلُ السَّادِسُ

• فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلِيهِ

إِعْلَمُ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَاحْتِكَامَ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا أَوَّلَهَا
 الْحِفْظُ مِنَ جِنْسِهِ أَيْ مِنْ جِنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَةٌ يَنْبَغُ عَلَى مِنْوَالِهَا وَتُخَيَّرُ الْحَفُوظُ مِنَ الْحَرِّ

النَّبِيُّ الْكَثِيرُ الْأَسَالِبِ . وَهَذَا الْمَحْفُوظُ الْمُخْتَارُ أَقْلُ مَا
 يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْفُحُولِ الْأَسْلَامِيِّينَ مِثْلُ ابْنِ أَبِي
 رَبِيعَةَ وَكَثِيرٍ وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبِ
 وَابْنِ جُرَيْجٍ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
 الْأَعْيَانِ لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْمُخْتَارُ
 مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمَحْفُوظِ فَظُهُ قَاصِرٌ
 رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّوْنُقُ وَالْحَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمَحْفُوظِ .
 فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
 سَاقِطٌ وَاجْتِنَابُ الشِّعْرِ أَوْلَى مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ ثُمَّ بَعْدَ
 الْأَمْثِلَةِ مِنَ الْحِفْظِ وَتَحْذِيرُ الْقَرِيجَةِ لِلنَّسْجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يَقْبَلُ
 عَلَى النَّظْمِ وَبِالْإِكْتَارِ مِنْهُ تَسْحِيْمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْخُّهُ . وَرَبَّمَا
 يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمَحْفُوظِ لِتُعْنَى رُسُومُهُ
 الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
 وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِّنَوَالٌ
 يَأْخُذُ فِي النَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةً .
 ثُمَّ لَا بَدْلَهُ مِنَ الْخُلُوعِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
 الْمَبَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْبُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيجَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا

وَنَشِيطَهَا بِمَلَاذِ السُّرُورِ ثُمَّ امَعَ هَذَا كُلُّهُ فَشَرَطُهُ مَنْ يَكُونُ
عَلَى جِهَامٍ وَنَشِيطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ
بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنَوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْعِدَّةِ
وَنَشِيطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنْ مِنْ
بَوَائِغِهِ الْعَشَقِ وَالْإِنْتِشَاءِ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ
الْعِدَّةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِهِذِهِ الصَّنَاعَةِ وَإِعْطَاءِ
حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ
أَسْتَضْعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى وَفْتِ آخِرٍ وَلَا
يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَلَيْكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
صَوْعِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَجِبِي نَافِرَةً قَلِيلَةً وَإِذَا سَمِعَ الْمُخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
يُنَاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنْ كُنَّ
بَيْتٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا
يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالتَّنْجِيزِ وَالنَّقْدِ وَلَا
يَضَنَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ فَرِيحَتِهِ وَلَا
يَسْتَعِيلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ وَالتَّخَالِصَ
مِنَ الصَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ . وَقَدْ حَظَرَ أُمِّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمَوْلِدِ أَنْ تَكَابَ
الضَّرُورَةُ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ . وَيجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ
جَهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى
الْفَهْمِ . وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهَا نَوْعَ
تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ . وَإِنَّمَا الْخُفْيَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنَّ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَتْ حَشْوًا
وَأَسْتَعِيلُ الذِّهْنَ بِالْفُغُوصِ عَلَيْهَا فَتَبْعَ الذَّوْقِ عَنِ اسْتِيفَاءِ
مُدْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ . وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْخُ خَنَا رَحِمَهُ
اللَّهُ يُعَيِّنُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَأَزْدَحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يُعَيِّنُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ التَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ الشِّعْرِ
 وَالْحَاكِمِ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلَيُجَنَّبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحُوشِيَّ
 مِنَ الْأَلْفَاطِ وَالْمُقَصِّرِ وَكَذَلِكَ السُّوقِيُّ الْمُبْتَدِلَ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدِلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِهَقْدَارٍ
 مَا تَقَرَّبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذَا
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشِّعْرُ فِي الرِّبَاطِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْأَجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَحْدِفُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدِلَةً لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشِّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيَعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلُ
 الضَّرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْتَرَاءِ وَيَحِفُّ بِالْتَرَكِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فِيهِ الْبُغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُبِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَيَّادٍ الْجُبَيْرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ
 الشَّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبِيعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خَذِهِ وَوُجُوهُ أَفْضَايِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ
 وَأَنْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَأَتَكَلَّمْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتِ قَلِيلُ الْغُيُومِ صِفْرُ
 مِنَ الْغُيُومِ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحْرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أُرِدْتَ التَّشْيِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَفِيقًا وَالْمَعْنَى رَشِيقًا
 وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجَّعِ الْكَابَةِ وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقِ
 وَكَوْنَةَ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيجِ سَيِّدِ ذِي أَيَادٍ فَأَشْهَرِ
 مَنَاقِبَهُ وَأَظْهِرْ مَعَاسِبَهُ وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَنَصِّدِ
 الْمَعَالِي وَأَحْذِرِ الْعُجُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيقَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الصَّخْرُ فَارْحُ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتِ فَارِغُ الْقَلْبِ وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشَّعْرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظَائِهِ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمَ الْمُهَيَّنِّ
وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ
فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَأَقْصِدْهُ وَمَا تَرَكَوْهُ فَأَجْنِبْهُ تَرشُدُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى
السِّيَاسَةِ

(من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

فِي النَّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفِيهِ فِسْهَانٌ

القسم الأول

فِي النَّصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمُتَسَلِّكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى
النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يَكْثُرُونَ
الْقَوْلَ فِيهِ وَالْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْقَلِيلَ. وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّصَاحَةَ هِيَ
الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

الصَّحِيحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقْنُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنْ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَبِينُ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بَوُجُوهٌ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ. أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا زَيْدٌ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ الْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. الْوَجْهُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيْنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
 وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصَفُ قُبْحٍ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الثَّانِي إِنْ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَلَكِنَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيَرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعُولُ
 عَلَيْهِ وَكَثْرَةُ مَلَابَسَتِي هَذَا الْفَنِّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي
 السِّرَّ فِيهِ وَسَاءَ وَضِئُهُ فِي كِتَابِي هَذَا وَاحْتَقَّ الْقَوْلُ فِيهِ فَأَقُولُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ الْفَلَاظُ مَفْهُومَةً لَا يُخَنَّجُ فِي فَهْمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً
 الْأُسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً الْأُسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَرِبُوا بِاللُّغَةِ بِأَعْيَارِ الْفَلَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا
 فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْقَبِيحَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنَ الْأُسْتِعْمَالُ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَأَلْفَصِحُّ إِذْنًا مِنَ الْأَلْفَاظِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْحُسُوسَةِ الَّتِي شَاهِدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَبِيلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَبِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهيقَ الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْنَةِ
 وَالْدِّيَةِ حَسَنَةٌ بَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَايِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمَرْنَةِ
 وَالْدِّيَةِ وَمَا جَرَى عَجْرَاهُمَا مَا لَوْفَتِي الْأَسْعِمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَايِ وَمَا جَرَى عَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّهَا يُسْتَعْمَلُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مِنْ ذَوْقِهِ غَيْرُ
 ذَوْقِي سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحْصَاً مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 الْمَأْوَرِدِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا
 مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍّ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَافِهَا غَايَةً
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْأَفَافِ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً الْأَلْفَافِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْبُؤْنَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ وَتَصَحُّحُ
 الْأَقْسَامِ. وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيهِ وَالْفَرَازَةَ يَوْمَ الْأُطَالَ. وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حُسْنُ
 إِجْجَارُهُ وَقُلَّ مَجَازُهُ. وَقِيلَ لِلْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّعْرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَفْتُ الْخَرْدَلُ وَيَحْطُ الْجَنْدَلُ. وَقِيلَ لِلْحَضْرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَارُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَارُهُ. وَسَأَلَ
 الْحَجَّاجُ ابْنَ الْفَرِّجِيِّ عَنِ الْإِجْجَارِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئْ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِجَوِّهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلٌ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْهِلَةً. وَالثَّانِي أَسْتِيفَاءُ تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا. وَالثَّلَاثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِهَا يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّ الْمَعْنَى تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِهَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ فِي الْأَثْلَافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْأَخْلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ الْأَلْفَافِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَابَبَةُ الْغَرِيبِ الْأَوْحَشِيِّ حَتَّى لَا يَبْجَهَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنْكِبُ اللَّفْظِ الْمُبْتَدِلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْطِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْمُجَاحِظُ

فِي كِتَابِ الْبَيَانِ . أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ قَوْمًا أَثَلَّ طَرِيقَةً فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّهَمُوا مِنْ الْأَلْفَاظِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا . وَالثَّلَاثُ أَنْ
 يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُرُ عَنْهَا . وَقَالَ يَشْرِبُنُ الْمَعْنِي فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهَهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ
 أَخْيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عِيَا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ
 لِاتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنِ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ
 الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِبَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الثامن

فِي الْمَبَادِيِّ وَالْاِفْتِاحَاتِ

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عَزَاءً فَعَزَاءً وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ . وَحُكْمُ هَذَا
النَّوعِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أُسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرُ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ
بِمَادَنَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُحْتَظٌّ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلُ الْمَدِيحَ أَرْتَجِلًا مِنْ أَوْهَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ

إِنْ حَارَتْ الْأَلْبَابُ كَيْفَ نَقُولُ
 فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَاحٍ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ
 أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا الْمُحْسِنُ
 فَالْحُسْنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ أَرْجَلَ الْمَدِجَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
 كَمَا تَرَى حَسَنًا لَاتِقًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
 الْحَوَادِثِ كَفَتْهُ مُثْقَلٌ أَوْ هَزِيمَةٌ جَيْشٍ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يُبَدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ
 قَرْبَجَةِ الشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
 الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ بِحَبِّ عَلَى الشَّاعِرِ
 كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِقَّةٌ
 مَحْضَةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا
 مِنْ فِعْلِ الْكَلَامِ وَمَتِينِ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ. وَأَيْضًا
 فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي نِلِكَ الْحَوَادِثِ

وَالْإِبْدَاءُ بِالْخَوْصِ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْعَزْلِ إِذَا
الْهَمُّ وَاجِبُ التَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
قَصِيدَةٍ بِالْهَدِجِ مَا يَطِيرُ مِنْهُ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُخْتَزَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
كَوَصْفِ الدِّيَارِ بِالدُّنُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ تَشْتِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَّهَا إِذَا كَانَ فِي
الْتِهَائِي فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ فُجَاءً وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ الْكَلَامُ فِي
الْهَدِجِ مُفْتَتِحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطِيرُ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْبَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَاتِقًا بِالْمَعْنَى
الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَقَّرتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قَبِيحِ
الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ
يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابِلَةَ الْهَدُوحِ بِهَذَا الْخُطَابِ لَا خَفَاءَ بِقُبْحِهِ
وَكِرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ تَجَرَّعَ أَسَى فَدَأْفَرَ الْأَجْرُ

الْفَرْدُ . وَإِنَّمَا أَلْقَى أَبَا تَهَامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكْرُوهِ تَبَعُهُ
 لِلتَّجَنُّيسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ . وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَعَ قَوْلُ
 الْبَحْرِيِّ فُوَادٌ مَلَأَهُ الْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا . فَإِنَّ أَيْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طَبِيعَةٌ يَبْهُو عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَيْدَاءَ مَرْتَبَةٍ لَا مَدِجٍ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْبَحْرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِقِي الشُّعْرَاءِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِالْهَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ فَمَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمُوصِلِيُّ فِي الْأَنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْجَعَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَائِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَفَحَاكَ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ .

فَطَبَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ . فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَهُ أَشْجَعُ السُّلَويُّ حَيْثُ قَالَ
 فَصَّرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَاهَا الْآيَامُ
 وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمُفْتَحِ شِعْرِ اسْحَقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
 أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
 حَسَنًا لَا تَبْهَامًا وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
 أَجَادَ الْإِبْدَاءَ وَالْمَطْلِعَ أَلَا تَرَى إِلَى فَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
 الَّتِي أَوَّلَهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْآيَامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسَامُ
 فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
 الْإِبْدَاءُ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِينِ وَافْتِتَاجِ الْمَدِيحِ
 بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَدُثُورِهَا مِمَّا يَطِيرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّهَا فِي مُشَافَهَةِ
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
 مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْغَوِيرِ وَرَأْمَةِ
 وَبَارِقِ وَالْعَفِيقِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
 يَطِيرُ مِنْهُ فَقَطُّ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْدَاءِ مَا يُسْتَفْجَعُ وَإِنْ لَمْ
 يَطِيرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ قَدْ كَأْتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَكَقُولِهِ ثِقِي جَمَّائِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنِّي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُتَنَبِّيِّ أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدُ. وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذَيْنِ
الشَّاعِرَيْنِ الْمُهَلِّقَيْنِ يَبْدُوَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَّةَ فَقَالَ
السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
فِي حَدِّهِ أَحَدٌ يَبْنِي الْجِدَّ وَاللَّعِبَ
يَبِضُّ الصَّفَاحَ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي
مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ قَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى
وَجَعَلَ السَّيْفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِأَمْتِنَاعِ
الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرثِيَّةِ
أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلْعَا .
وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَارًا قَدْ جَرَتْ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ نَزْعَةٌ فَبَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودُ فَقَالَ

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَمْتُهُ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَنَّهُ السُّنُّ الْحَسَادُ

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْدَاءِ وَنَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي
سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّشُوقِ حَلَفَ لِيَلْقِيَنَّهُ كِفَاحًا
فَلَمَّا التَّبَا لَمْ يُطِيقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَأَفْتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ
قَصِيدَتَهُ بِمَحْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُقِيَ الْيَمِينُ عَلَى عُقِي الْوَعْدِ نَدَمٌ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ إِوَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبُعَادِ مِنْهُمْ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَزِلًا فِي مَطْلَعِ
قَصِيدَتِهِ الْقَافِيَةِ وَهِيَ

أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ نَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآفِ
وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْثَلِ كَافٍ لِلْمَتَعَلِّمِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

(انتهى ملخصاً ببعض نصرف عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والآقيضاب

إِعلم أَنَّ التَّلْخِصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى
 مِنَ الْمَعْنَى فَيَبْنِئَ هُوَ فِيهِ إِذْ أَخَذَ فِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرِهِ
 وَجَعَلَ الْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخْذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامُهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ
 جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
 حَذَقِ الشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نِطَاقَ الْكَلَامِ
 يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَعَمِّدًا لِلْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَاتِيهِ
 إِلَّا لَفَظًا عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَأَمَّا النَّائِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ الْعِنَانِ
 يَمْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذَلِكَ يَشُقُّ التَّلْخِصُ عَلَى الشَّاعِرِ أَكْثَرَ
 مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّائِرِ

وَأَمَّا الْإِفْضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّلْخِصِ وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ
 الشَّاعِرُ كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ
 مَدْحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلنَّائِرِ عِلَاقَةٌ بِالْأَوَّلِ
 وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْخُضَرَاءِ وَأَمَّا

الْحَدَّثُونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي التَّخْلِصِ فَأَدْعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ
كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ
يَقُولُ فِي قَوْمٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَّا السَّرَى وَخَطَى الْمَهْرَةَ الْقُودُ
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبَغَّى أَنْ تَوْثُمَ بِنَا

فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْحُودِ
وَقَوْلُهُ

غَيْدَاءَ جَادَ وَلِيَّ الْحُسْنِ سُنَّتَهَا

فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا

يُضْحِي الْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلَفَا

بِعُذْرٍ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلَفَا

وَدَّعَ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقِ فَمَا

أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا

بِجَاهِدِ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ بِجَذْبِهِ

جِهَادُهُ لِلتَّوَابِي فِي أَبِي دُلْفَا

وَمَا جَاءَ مِنَ التَّخْلِصَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْمَتْنِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ

الدَّالِّيَّةُ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ

وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَخِذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ إِلَّا تَرَى إِلَى
الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَتَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ النَّاتِيَةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا نَبَتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبِ غَادَرَتِهَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْحَيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جِبَاهِهَا
الَّتَابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنَ فِي لَبَائِهَا
فَكَأَنَّهَا نَجَتْ فَيَا مَا تَحْنَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
نَلَكَ النُّفُوسُ الْغَالِيَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْحُجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيتَ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَأَلَّاوُلْ خَرَجَ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَدْحُ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْأَغْرَابِ . وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَاتِكَ

وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالْإِلَّاهِ فَخَاتَمِي الْقَوَافِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عَمِيدٍ اللَّهُ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيعًا

أُحْيِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ نَبِيرٍ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِبْعَا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَمَالِ

شَيْءٌ وَهَمَّا يَكُونُ الْإِقْتِصَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ . فَيَنْبَغِي

لِسَائِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَنَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَنَبِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلُهَا أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا فَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي
إِلَى آلِي تَرَكَتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
وَالْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا أَلْخَلَصُ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا الْقَاءُ
فِي هَذِهِ الْهُوَّةِ إِلَّا أَبُو نُؤَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجْجٍ بْنِ خَالِدٍ
هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَتَخَيَّرِ النَّاطِمُ

وَالْأَفْتِضَابُ الْوَارِدُ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالْأَلْخَلَصُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ الْأَلْخَلَصُ فِي شَعْرِ
الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ إِهْ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَنَزِّبِ مِنْ شَعْرِهِ
فَهِنَّ الْأَفْتِضَابُ قَوْلُ أَبِي نُؤَاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ التَّنُونِيَّةِ الَّتِي
أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
شَعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمَلْ حُسْنَهَا بِالْأَلْخَلَصِ مِنَ الْغَزَلِ إِلَى
الْمَدِيحِ بَلْ أَفْضَبَهُ أَفْتِضَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
فَأَسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي
مِنْ كَمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرِ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْخَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسَّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْجَلَّ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَاحِ أَبِي نُوَّاسٍ مُتَنْصِبَةً هُكَّنًا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْجُبَيْرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِالْجَوْدَةِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِقَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا
 أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِرِزْبَانَا وَهِيَ مِنْ أَمَّهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُوقِّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدِيحِ فَإِنَّهُ
 بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَاهُ أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 قَوْلًا أَسْفَا حَاسِمًا أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَأَمِنْ خَوَانًا وَأَعِيبُ مَذْنَبًا
 حَتَّى قَالَ فِي آثَرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُعْنِفِينَ تَدْرَعُوا
 عَلَى عَجَلٍ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبًا
 رِدُّوا نَائِلَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ

أَعْمُ نَدَى فَيْكُمُ وَإَيْسَرُ مَطْلَبًا
 فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ بِغَيْرِ وَصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
 فَصِيدَتِهِ الشَّهْوَةِ بِأَجْوَدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ
 أَيْضًا وَأَوَّلَهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَأَ طَلَّلَ قَفَرٌ فَبَيْنَا هُوَ فِي
 غَزَاهَا حَتَّى قَالَ

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أَجْدَى
 إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ
 فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ مُقْتَضِبًا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ . وَأَمَّا هَذَا فِي
 شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَالْتَّخَلُّصُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ
 مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَبِهِذَا الْقَدْرِ مِنَ
 الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل العاشر

في الختام

هذا النوع ينبغي للشاعر والنائر أن يتأثرا فيه غاية التأني ويجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع ويتردد صده في الأذن ويعلق بحواشي الذكر فهو كمنقطع الشراب يكون آخر ما يهر بالفم ويعرض على الذوق فيشعر منه بما لا يشعر من سواه حتى لو كان في الشراب بعض مرارة وكان حلو الشماله طيب المنزعة ستر هذا الخلو تلك المرارة وكان هو الباقي وهي الذاهبة ولذلك ينبغي أن يكون الختام مميّزا عن سائر الكلام قبله بنكتة لطيفة أو أسلوب رقيق أو معنى بليغ ويختار له من اللفظ الرقيق الحاشية الخفيف الحميل على السمع السهل الورد على الطبع ويتجافى به عن الأسهاب والتعقيد والتقل وغير ذلك مما تنبوعه الأذن وتثقل مؤنته على الذكر فتذهب طلاوته وتضيع به محاسن ما قبله لأن كل تالٍ منها سبقه يحو أثر ما تلاه فإن لم يكن في الآخر ما يخلف تلك المحاسن كلها ذهبت بأسرها طلقا ومتى جود الشاعر أو

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
 ضَرَبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجْرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْخَصَرُ
 وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّتُهُ إِلَّا نَفَاقُ وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلُ الْفَرَسِ الْحَوَادِ
 كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِي نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوَاطِئِهِ
 أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّيًا بِتِمَامِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ
 وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَطَرُّ السَّمْعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأُظْهِرُ
 مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسْقُوفَةِ كَمَا فِي الْقِمَامَاتِ مَثَلًا
 فَإِنَّ نِهَايَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ
 وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى الْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ
 عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخَرَ يُذَكِّرُ عَلَى عَقِبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَعْرَاضِ
 السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزِعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْنِي بِهِ تَقْرِيرًا
 لِمَنْ شَاءَ مِنْ تِلْكَ الْأَعْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِمُفَصَّلِهَا مُوردًا عَلَى
 وَجْهِ مِنْ وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ
 الْمَثَلِ أَوِ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ
 وَتَقَيَّدَتْهُ الْأَذْهَانُ. وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النَّوعِ
 وَالظَّافِرُونَ بِفَلَائِدِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَامْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا بَنَى فِيهِ مَخَاهٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْجَزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّئِ
وَمَا أَخْصَكَ فِي بَرْهِنِهِ بِنَهْشَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلَّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَهَامٍ
أُولَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحُزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِنِ
وَكَقَوْلِ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي خِنَامٍ إِحْدَى مَقَالَتِهِ إِنَّ الطَّيِّشَ
فِي الْكَلَامِ يُتَرْجِمُ عَنْ خِفَةِ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمُنْكَلِمَ إِلَّا الرِّزَانَهُ. وَكَقَوْلِهِ فِي خِنَامٍ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالْدَّعْوَةِ بِخَفِيهَا وَيَخَافُ الْمَدْعُوَ فِيهَا
فَيَأْتِيهَا مُحْكِمَةً ذَاتَ بَرِّينَ مُشْرِقَةً ذَاتَ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخَفِيَّةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْخَفِيَّةُ فِي بَابِ الْإِتْقَانِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بَيْنَهُمْ
مَقْهُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضِنَّ غَرَضًا آخَرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَفَّعَ الْجَوَابَ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْهَا تَحْبِيلُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْنِصُهُ دَوَاعِي الْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلِدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَالِ أَوِ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّحَبُّبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخَاطِبِ أَوِ الْمَدْحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَخْجُمُونَهَا فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ
يَقُولُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بِنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ
وَالْأَمْثَلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَالِيلٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اسْتِخْلَافَهُ
هَذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ انْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِهَا سَيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْجَلَّ لِقَدْرِكَ وَحَبِيبِكَ الْمُنَاهِجِ فِي بَرِّكَ
نَصَحْتُ نَبَأَكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَأَسْتَوْضِحَ إِخَاءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَهِينَةً عَلَى الْهَوْدَةِ وَالْأَكْبَارِ وَوَلَاكَ صَفْوَةً
يَقِينَهُ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِي إِلَهُ

تَجِدُهُ حَيْثُ نَشَدُهُ وَتَعْمَدُهُ عَلَى أَيْرٍ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ. وَقَوْلُ الْبَدِيعِ اللَّهُمَّ ذَانِي فِي خِصَامِ رِسَالَةٍ وَالشَّيْخِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِالْجَوَابِ وَتَعْرِيفِي بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِي سَوَائِحِ الْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفِقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْ أَمْثَلِيهِ فِي الشَّعْرِ
 قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرَجًا
 وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ
 أَيْتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ أَعْطَاكَ أَوْلَاهُ
 وَلَا أَسْتَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْبُقْلِ سَلَامٌ
 وَكَثِيرًا مَا بَخَّيْتُ النَّائِثُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْأَخْصَارِ وَالْإِبْجَارِ وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رَسَائِلِ الْعُتْبِ
 وَالْمُوجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَدْ بَخَّيْتُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ أَوْ بِقَوْلِهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَالُ . وَرُبَّمَا خَتَمَ بِمِثْلِ
 أَوْ بَيَّنَّ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالَةِ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكَرَمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَانْهَادِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقَلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوُنُ عَلَيْهِ أَحْزَالُ الْمَغَارِمِ وَيَقْرُبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةُ الْمَكَارِمِ . فَيَا الصَّبْرُ تَنَالِ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بِحَمْدِ
 الْقَوْمِ السُّرَى . وَقَوْلِهِ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْحُرُمَاتِ وَيَذْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَائَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ

لَكَالِدَهْرٍ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْتَهَوْا فِي هَذَا الْقَدَرِ غِنَىً لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطْبِهِمْ وَدَوَائِنِ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا مُؤَوَّنَةٌ
 كَافِيَةٌ بِهِدَايَةِ اللَّهِ وَتَسْدِيدِهِ

(مصححة)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ أُنْدَجَحَ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ
دُرُهُ وَتَبَجَّ فِي أَفْقٍ وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
تَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاخَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا
ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا يُوَافِيكَ عَرْفُهُ
ذِكْرًا وَيُؤَالِيكَ أَنْسُهُ نَحِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَتِّكَ فَرَضًا مَا تَبَيَّنَا
عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا
يَمْلَأُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَبِيدِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

قَدْ قُرِبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَقَرَّكَ عَلَى تَنَاقُيهِ لِأَنَّ الشُّوقَ يُمِثِّلُكَ وَالذِّكْرَ يُجِيلُكَ
فَتَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي
النَّسَبِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقْتَ
الْأَشْبَاحَ لَقَدْ تَعَاثَرَتِ الْأَرْوَاحُ

وكتب بديع الزمان الهمداني إلى القاسم الكرجي

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ قَلْبِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَرُدَّ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا أَتَحِيلُهُ وَالْعَوَائِقُ جَهَنَّمُ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ
وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبَّلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحَيِّطَانِ
وَلَكِنْ شَغَفًا بِالْأَقْطَانِ وَلَا عِشْقَ الْمُجْدِرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلْتُ ضَمِيرَ الشُّوقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

وكتبه ابو محمد عبد الله الطليوسي الى ابي الحسن من الاخضر
 يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ
 الْحُسْنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ
 أَطَالَ اللَّهُ بَقَاةَهُ لِفَضْلِ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمُ يُجِي آثَارَهُ نَحْنُ
 أَعَزُّكَ اللَّهُ تَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاوَيْنَا أَشْخَاصًا وَتَجَمَّعْنَا
 الْأَدَبُ وَإِنْ فَرَقْنَا النَّسَبُ فَلَا شَكَالَ أَقَارِبُ وَالْأَدَابُ
 مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاوِي الْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ
 وَمَا مَثَلْنَا فِي هَذَا الْأَنْظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ
 نَسِي فِي رَأْيِي وَعِلِّي وَمَذْهَبِي

وَأِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا نِيرَكَ ذَاكِرٌ وَلِمَا خِرَكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
 أَبُو فُلَانٍ أَبَقَاهُ اللَّهُ لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ
 عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ فَإِنَّهُ يَهْدُ فِي مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا
 وَيَقُومُ بِخَيْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا حَتَّى يَنْثِي إِلَيْكَ الْأَحْدَاقَ
 وَيَلْوِي نَحْوَكَ الْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ
 سَعْدُهُ وَمَا تَقَرَّرَ فِي الْأَنْفُسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ
 أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكَ حَيْثُ سَارَ وَإِنْ لَيْلَ جَهْلٍ

أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبْصِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَعِ
فِكْرَ قَدْحِهِ بِتَذْكِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ شَاحِخُ الْعِلْمِ
مَنْشُورُ الْإِلْوَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَاةِ مُلِيتِ الْأَدَابُ عُمْرَكَ
وَلَا عَدِمْتَ إِلَّا لِبَابِ ذِكْرِكَ وَرَقِيتَ مِنَ الْهَرَاتِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيتَ مِنَ الْهَارِبِ أَفْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

وَصَحَّحَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

مَا زِلْتُ أَدْفَعُ النَّفْسَ فِيهَا تَقْضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَسْوَاقِهَا وَفِي الشَّكْوَى شِفَاءً وَاسْتِنْزَالَ أَنْتَ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلَّلُ
بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونَ إِجَابَتِهَا
مَشَادَهُ قَدْ شَغَلَتْ الذَّرْعَ وَشَوَاعِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ حَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاqِلِ الصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدْوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذَتْ
هَذِهِ الرُّفْعَةَ أَرْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشَّوْقِ مَا يُنَوِّهُ
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَخْلِفُهَا
فِيصَافِحِ الْأَعْنَابِ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُثَلِّقَ بِمَا عَهِدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْإِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَهَيُّدِ الْعُذْرِ وَيَصْلِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِ الطَّبِيعَةِ
عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاطِرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله

وَأَفَانِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِحَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بِصِحِّهِ سَمْعِي وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيَذْكُرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَهَا أَذْكُرِيهِ الْبَرَقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَمَرُ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَجَادِبَةِ الشَّوَاغِلِ وَمُسَاوَرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتْ أَمْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتِ
أَنْبَاءُكَ عِنْدِي لَا يَخْطُبُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وَرُودُهَا
أَهْنَى النَّفْسِ مِنْهَا بِمَا تَسْمِي لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارُ
وَأَقْبَالَ لَا يَعْزِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارُ وَقُصَارَى الْمَأْمُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصَّلَةِ إِلَى

أَنْ يَهْنُ اللَّهُ بِالْإِجْمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمَاعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وأنا بما يبلغني من صالح أخبار الشيخ مغتبط
مسرور وبما يعرفه الزمان وأمله من أعضادي به مصون
موفور والله على الأولي محمود وعلى الأخرى مشكور
التطفل وإن كان محظورا في غير موطنه فإنه مباح في
أماكنه وهو وإن كان في بعض الأحوال يجمع عارا ووزرا
فإنه في بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطفلت على
الشيخ بهذه الأحرف أخطب بها مودته إليه وأعرض
فيها مودتي عليه وأسأله أن يرسم لي في لساني وقلبي رسما
ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على
حكميه وسأضعهما تحت خفيه وبرئت إليه منهما وصرت
وكيلة فيهما فهما على غيره حي لا يقرب وبحيرة لا تحلب
ولا تركب ولما نظرت إلى آثار الشيخ على الأحرار
ونشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار رأيت

نَفْسِي غَفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ جَهَالِ عِشْرَتِهِ حِمِيَّتُهَا
مِنْ أَنْ يُحْيِيَ عَلَيْهَا وَرْدَ مَوْزُودٍ وَيُخَسِّرَ عَنْهَا ظِلَّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَهْدُودٍ وَنَجِيَّتٍ مِنْ

سَحَابِ خَطَائِي جَوْدُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَجَرِّ عِدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَبَدْرِ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعِ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

فَصْلٌ

فِي الْأَسْتِعْطَافِ وَالْإِعْتِذَارِ

كتب عمرو بن بجر المجاحظ إلى ابن أبي نُوَادٍ

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّائِمِلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَاثْبَاتِ الْفَضْلِ بِجَالِ
الْهَامُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَاتِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِنْقِطَاعِ .

إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنُ تَحْتَ أَجْحِنِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمَ بَرَكَهَ وَلَا
 أَنْهَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْحَبَتْ فِيهِ وَبِشَلِكْ جُعِلَتْ فِدَاكَ عَادَ
 الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلُكَ مَنْ أَتَقَلَّبَ بِهِ الشَّرُّ
 خَيْرًا وَالْغُرْمُ غُنْمًا مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ
 فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَانِ
 وَتَجَرَّعَ الْهَرَائِرُ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيهَا بَيْنَ
 كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
 حَقُّهُ وَإِنَّمَا النُّضْلُ وَالنَّشَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ ضَعِيفِ
 الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
 تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مَخَالَفَةِ
 أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تَنْكَلُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
 تَنْدَمُونَ وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
 يَهُدِي بِمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعُوهُ خَيْرًا
 فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلِّهَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
 أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
 إِلَّا الْخَبِيرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
 فِيهِ يَنْضَجُ

وكتب إلى رجله

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عَقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عَقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ.
وَمَنْ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَقَدْ قَصَرَ. وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرْفَ الرِّضَى خِيفَةً أَنْ
يُودِّيَ إِلَى سَرْفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرْفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِيَّاشٍ عَجُولٍ فَحَّاشٍ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدَرِ
قِسْطِهِ مِنَ التَّيَّابِ الْحَمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِسْمُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ التَّأَثُّرَ فِي الرِّقَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُّهُ فِي الْغِلَاطِ الْحَفَاةِ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَأَنْظُرْ فِي عَلَيْهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعَشِيهِ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالْثَبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ
عِنْدَ التَّعْرِيزِ وَفُطْنِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضَيْقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَّةً وَغَلْبَةً طِبَاعِ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْخَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرُ مُنْتَجِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَنْفَعُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَبِّحُ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أُسَبِّحُ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْخَصْصُ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْآنَاةُ أَقْرَبُ مِنَ
 التَّحَدُّ وَأَبْعَدُ مِنَ الدَّمِّ وَأَنَايٌ مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَا لَأَنَاةٍ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعٍ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبُ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَخَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَّا قَهْرُهُ
 وَإِنَّمَا يُجْنَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكَّى
 نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَهْمًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّنَتْهُ بِالتَّوَرَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَكَدَتْهُ

بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاحًا وَاتَّبَعَتْهُ بِأَدَمَ
شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَكِنْ يُسَكِّنُ غَضَبَ الْعَبْدِ
إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ . فَلَا تَتَفَنَّيْ حَفِظَكَ اللَّهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ
فِي عَنَابِي النَّهَاسِ لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَن إِفْرَاطِكَ مِنْ
طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَفَقَّةً مِنْ يَتِيمِ الْغَضَبِ عَلَى
عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانِ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءَ وَيُهْسِكُ
إِمْسَاكَ مَنْ لَا يَبْرِيئُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يَبْرِيئُ الْهَوَى مِنْ
الْخَطَاةِ وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَلَّكَ أَنْ يَهْفُو فَقَدْ زَلَّ
أَدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
إِلَّا رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
وَمَا يَجْلِبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْدُوثَةِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَكُنْفِي بِهِ عَلَيْهَا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَائِي
وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حَيْزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
أَنْ مِنْ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنْ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ
بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرِ
وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيْفٍ مَوَدَّةُ
الْآخِ النَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْآخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَأَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا بُحَاكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ
وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا
بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَهِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِبَاحًا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبٌ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحِدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّحْفِ عَنِّي فَرَاغِ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ
وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلَا أَنَّ الْخُطَابَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةً أَذْنًا مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البجلي لما طال عتابه وكثرت
رفاهه إليه

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلْتِي شَرِيقُ
كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْنَصَارِي
كَيْفَ يَقْدِرُ ابْنُ اللَّهِ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْتَدِي
إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرْحَةِ الْعَبَاءُ
أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ
الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَيْدِ اللَّهِ الشَّيْخَ
إِذَا قَدَّرَ غَفْرًا وَإِذَا أَوْتَقَى أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَأَ عُنُقَ وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ
حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدِهِ فَلْيَذِفْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَقَنِي
مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّي وَلْتُلْخَ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ
عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْحُرَّ كَرِيمُ الظُّفْرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَتِيمُ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ
وَلْيَغْنِمِ التَّجَاوُزَ عَنْ غُرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ
الْإِفْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدُهَا فِتْنِي وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَّرَهَا طَرِيقِي فَجَعَلَهُ فِي الْمِيلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْرَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبَعَثْتُ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ اسْتَرْوَلَمْ
 يُذْنِبَ إِلَيْهِ مَنْ أَعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشَّجَاعَةِ بَعْدَ الْحَبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ
 مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لَهَا بِحِفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبَ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَبَتِهِ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاهِمِ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَوْلَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ بَشْعَةٌ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَذِيحَةٌ

والمصحح إلى بعض أصفهائي

وَأَفَانِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْفَرِيحَةُ نَائِفَةٌ إِلَى مَا يَشْخِذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ
 بِاسْمَةِ الْكَمَامِ فَاحِشَةُ النَّسَائِمِ قَدَرَدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَسَاطَهَا
 وَأَحْبَتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَسَاطَهَا فَأَنَامَتْ مَابَيْنَ وَشْيِ
 بُحْبُلٍ طِرَازِ الْعَبْرَةِ وَزُخْرُفِ دُونَةِ نَضْرَةِ السَّابِرَةِ
 تُنَاجِنِي مِنْهُ رَسَاقَةُ الْفَاطِ تَنْفُخُ قُدُودَ الْحَسَنِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُّ الْحَبْنِ وَرِقَّةُ خِطَابِ يَشْفُ عَنْ

وَدِّ صَفِيٍّ وَلُطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَنْبٍ أَعَذَبَ مِنْ
 أَلْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَأَرْقٍ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
 لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قُبُولِ مَعَاذِيرِي
 عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَعْتَرِبُهُ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنْ وَلَا
 بَخْلَافُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنَّ صُرُوفَ
 الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَرَتْ الْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ الْعَزِيمَةِ عَنِ
 الْقَصْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
 وَلَمْ أَدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي
 هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ الْحَايِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسَنِي
 مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْمِكَ أَلْمَأُوفِ وَمَا أَلْفَنُهُ مِنْ
 كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُنِيبَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
 نَصِيبًا وَيُنِيعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وله أيضاً

يَمْ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُدْرًا وَكَيْفَ يَسْتَرْ
 مِنْ عَنَبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لَذَنِيهِ سَتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَنْبِ
 تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَتَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا
 حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ إِنِّ صَاحِبَتَهَا لَمْ تُصْحِبْ وَإِنْ عَاتَبْتَهَا لَمْ
تُعْتَبْ فَلَقَدْ عَبَّرْتُ بِي هَذِهِ الْبَرْهَةَ كُلَّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْطَطَ حَابِلُهَا بِأَنْبَابِلٍ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ الْهَيْزَةُ الْيَسِيرَةُ أَجْدَدُ فِيهَا صَلَةَ التَّذْكَرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصَلَاةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَاسْتَنْزِلُ
أَحْرَفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتُمِلُ بِهَا النَّاطِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ
مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْرِي بِي عَلَى
عَادَةِ حِلِّكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ
عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فصل

في العتاب

وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمداني الى ابي جعفر الميكالي
لَعْنُ سَآءٍ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَآءٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْي خَطَرْتُ بِبَا لِكَ
الْأَمِيرُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ فِي حَالِي

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُفَضِّلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِعَادِهِ مُسِينٌ
 وَهَيِّئْ لَهٗ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلِّغْنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَسْتَزَادُ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنِّي مُحِبًّا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي فِرَارَةٍ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعَتَبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مُحْظُورٍ فِي الْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ
 أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي الزَّيَارَةِ
 أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مِنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قُلَّ وَهْدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ
 ضَلَّ نَهْمٌ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
 حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرُهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صَحْبَةً إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً
 إِلَّا تَقَصَّتْ صَيَانَةٌ وَلَا تَضَاعَفَتْ مَنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزَلَةٌ
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَبِيصُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَنِيَّةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَوْزَارًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْنَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْظِرْ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ أَجَابَ بِالْشُّكُونِ

فَمَا أَرَدَنْتُ لَهُ إِلَّا وِلَاءَ وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءٌ لَا جَرَمَ لِي فِي الْيَوْمِ
 أَبْيَضُ وَجْهِ الْعَهْدِ وَاضِحٌ حُجَّةِ الْوُدِّ طَوِيلُ إِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فُلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ
 يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مَوْفِقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَلْقَ تَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالتَّطَوُّلِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحْمُلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَيْدُهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًّا
 بِمَا عَقَدَتْ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَمَتْ حِبَالُكَ وَأَوْاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أَذْنَا وَاعِيَةٌ وَنَفْسًا مُرَاعِيَةٌ وَقَلْبًا مُتَعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَتُرُوعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَقْرَعُهُ
 وَتُرُوعًا عَنِ الصُّعُودِ الَّذِي يَقْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمُودَّتِهِ خِيَانَ
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَتَجَامَعَ عُمْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرَكِبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَقْطَعَتْهُ خِطَّةَ أَخْلَافِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأْتُ

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوتُ الْهَرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبِلِ السِّنِّ وَالْعُمُرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي
الْدَّهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَلَقِيتُ وَفَدَيْتُ الْخَيْرَ
وَالْشَّرَّ وَصَافَحْتُ يَدَيَّ النِّعَمَ وَالضَّرَّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرَ وَالْيُسْرَ وَبَلَوتُ طَعْمِي الْحُلُوَّ وَالْهَرَّ وَرَضِعْتُ
ضَرْعِي الْعُرْفَ وَالنُّكْرَ فَمَا تَكَادُ الْأَيَّامُ تُرِينِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيبًا وَتُسَبِّعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيبًا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَاقِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِزِّي فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثَقَلْتُ كَتِفَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكَفَّنْتُهُ فِي الْوِزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقَرْنَ صَحِيفَتِي
أَوْ لَقِيَ صَفِيحَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرُ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى اخْتَجَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاسِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجْحَدَ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَهْتَطِيَ ظَهْرَ التَّيِّهِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْنَصَنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ عِظَامٍ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

قَصْدِهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْخَاطِبَةِ الْمُتَحَفِّفَةِ وَالرُّثْبَةِ
الْمُتَحَفِّفَةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرٌ فَإِنْ أَفْلَحَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ شَيْبَتِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ الْأُسْتَاذُ
الْفَاضِلُ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ

وكتب الجاحظ الى قليب المغربي

وَاللَّهِ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِيدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَا جَلْتُكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَفَائِكَ فَيَرْدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلْبِي رَاغِبٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ بِالْإِجْمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَسَاكُرُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخَفِّجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُنْيَتِي
وَأَحْبَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثَّقَةَ بِهَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ
وَتَحْسِنُ مَا يَفْجُئُ جَفَاؤَكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخر الى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَارَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَتَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ
وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ معاويةَ بن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ذِي الجناحين

إلى بعض إخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَبَدَاتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعْقَبَتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوْلَكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيَّاسَنِي آخِرُكَ مِنْ
وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقْبَمَنَا عَلَى اتِّبَالٍ وَأَفْتَرَقَنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ إِلَى بَعْضِهِمْ

لَوْ لَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَائِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى
الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودَ دُكَّ شَافِعًا

وَكَتَبَ الْعَتَائِيُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِهَيْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَهُ

الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ مَرَّاتَةً نَمَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَخَفَّنَا
صَبَابُنَا فَأَحْنَمْنَا فُسُوتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوْدِنَا وَأَنْتَ
أَحَقُّ مَنْ أَقْتَصَّ لِحْلِينَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَالِهِ
وَكَتَبَ أَبُو بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ
الْجِلْدِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْحَيَّةُ
وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يُبْكِي
عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَحْنَةٍ بِجَلِيلِهَا وَنِعْمَةٍ يُبِيلُهَا
وَيُؤِيلُهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ بِالتَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمِ
بِالْتَّهْنِيَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنَّهَا غَمَّتْهُ وَلَا
فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنَّهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ أَعْذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ فَلَمَّا فَقُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلَانَهُ شَغَلَهُ
الْأَهْتَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلَانَهُ
أَحَبَّ أَنْ يُوقِرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَيَتَصَرَّ بِنَفْسِهِ
عَلَى مَحَلِّ الْإِقْتِدَاءِ لِيَكُونَ نَعَمُ اللَّهِ سَجَانَهُ عَلَيَّ مَوْفُورَةً مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمَحْفُوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
الْإِعْذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالْإِسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيُخَيِّرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرِفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَيَرْضَ مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي
وَأَعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسُ أَعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعُودُ أَحْمَدُ

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّي

وكتب ابن الرومي الى القاسم بن عبيد الله

تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا طَلِبُ عَفْوِ ذَنْبٍ لَمْ أَجِبْهُ وَالسَّيْسُ
الْأَقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِيَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا
أَعِذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشْ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ
أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وكتب آخر الى بعضهم

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَارِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَّاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَشَى . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِلْحَقُوفِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَّتِهِ مِنْ
أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤْمِلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ وَمِنْ عُذْرِكَ
إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتبَ بدیعُ الزمانِ الهمدانيُّ إلى أبي عليٍّ بنِ مشكويه

وَيَا عَزَّزَ إِنَّ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
فَلَا تَهْمِلِيهِ أَنْ تُقُولِي لَهُ مَهَلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَرْحُزُخَ لَا قَرِيْبًا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ الشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
بِأَحَادِيثٍ لَمْ يُعْرِهَا اتَّخَذَ نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِتَاءَ ظَنِّهِ
وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأُسْخِرَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِنَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا
وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشُّفَّةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِنَابُ
لَحْظَةٍ كَعِتَابِ حِجَّةٍ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّنَا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمَوًا وَتَابَّ طَشْرًا وَأَوْجَبَ عُدْرًا وَأَوْحَشَ حَرْمًا
 وَسَجَّانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أَشِيمَ بَارِقَتَهُ وَأَسْجَلِي
 صَاعِقَتَهُ وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَالْمَجْنِي عَلَيْهِ لَكِنْ مَنْ بُلِي
 مِنَ الْأَعْدَاءِ يَهْلُ مَا بُلِيْتُ وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِهَا رُمِيْتُ
 وَوَقَفَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا
 وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارُ بِهَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ
 كَبَسَطْتُ فِي الْأَعْتِذَارِ شَاذِرَ وَأَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْأِسْتِقَالَةِ
 مِيدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكَ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
 الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيَّدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْأَعْتِذَارِ بِهَا قَعَدَعْنَهُ
 الْقَلَمُ فَنِعْمَ رَأَيْدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ

فصل

في التَّهْدِجِ وَالشُّكْرِ

كتب أحمد بن مكرم إلى أحمد بن المدبر

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَ آتِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
 أَنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُواكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلْنَا مِنْهُ
يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيَقْدِمُهُ اخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْجِعِ
مُؤَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْخُفَهُ تَقِيصَةُ الْكُذِبِ وَلَا يَنْتَهِيَ
بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيهَا أَتَعَاظِي مِنْ مَدْحِكَ كَأَلْخَبِيرٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالْأَمْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِظٍ
وَأَيُّقُنْتُ أَنِّي حَيْثُ انْتَهَى بِي الْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقْصَرٌّ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْأَخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب أبو الفضل بدیع الرمان الهمداني إلى الشيخ الإمام أبي

الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخِرَاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خَطْبٍ وَأَضْطَرَّتْ الْأُمُورُ وَأَخْلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَمَّتْ

الْجَمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِي اللَّهُ فِي
 الْأَعْلَانِ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي الْإِمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ
 وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِهَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّيَاسُ
 فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفْسِ وَلَمْ نَخْزَنْ
 لِنَهَابِ أَلْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسَرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْجِعَ التَّحْمِيدِ وَمَشْرِعَ
 الْحُجْدِ وَمَطْلِعَ الْجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَفْرَعِ
 الشُّكْرِ وَمَصْرَعِ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضْعَانَهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
 سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سَمِيَّ خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا الْعَالَمُ
 وَيُبَغِضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا سَحِيبَتَانِ وَقَيْدَنَا
 الْإِحْسَانُ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْيِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَحْيِيلًا
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْمَلِكُ
 ثَوَابُهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ

عَقَابُهُ فَهُوَ الْجَعْرُ يَبْشِي عَلَى رَجُلَيْنِ وَالْعَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَتَسَمُّ وَالْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْجَعْرُ يَتَكَلَّمُ
 فَلَمَّا اتَّقَيْنَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدَيَّ فَرُشًا وَتَقَشْتُ التُّرَابَ
 بِفِي تَقَشًا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتِ الْأَرْضُ لَا تَسْعَاهَا
 وَكَادَتِ الْهَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلُقْيَائِي وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفَتْ بِلُقْيَائِهِ مُلُوكَ الْأَنْامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مِثْلًا فِي أَخْلَاقِهِ مِثٌّ وَلَمْ أَلَاقِهِ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وُجُودِهِ فَخَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانُهُ مِنْ مَلِكٍ وَسِعَ أَرْزَاقِي فَضِيقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى
 ثَنِي فَمَا يَشْتَرِيَنِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
 وَصْفُ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالَ وَأَسْتَغْرَقَ
 الْقِرْطَاسَ بَلِ الْأَنْفَاسَ وَأَسْتَفِدَّ الْأَعْمَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِعْشَارَ وَأَفْنَى الْأَقْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَبْلُغِ النَّهَامَ

وكتبه الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُجِبَّةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقِي أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ الْتَلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَذِّتْنِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةَ مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ أُلُوصَافَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْمُحْسُودِ فَخَنُّ نَجَا
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جَهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتب أبو الفضل الميكالي إلى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِكَاءَهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهَيَّاتِ أَنْ يَنْسَبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرِ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِ طِرَازِهِ وَأَسْمُهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ حِجَازُهُ وَلَوْ أَنَّ حِينَ
مَلَكَ رِقِّي بِأَيْدِيهِ وَأَعْجَزَ وَسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يُجَادِ بَنِي زِمَامِهِ وَعِثَانَهُ
لَتَعَلَّثْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَا بِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَيَّ

أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمُ ذَرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَبْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارْطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِيَتَكُونَ الْعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي
مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَشِرْكِهِ

— 3000 —

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كتب بعضهم الى صديقي له

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَغْنِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بَانَ يَبَالِنِي نَصِيبُ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْنَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مُخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا
يُؤَلِّمُكَ فَاسْأَلِ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ
يُجْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَمَنْ تَخَلَّفَتْ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْلَلَ أَقْلِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَيْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَنْقَسِمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ
تَتَّصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَأَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقُكَ
كَتَبْتُ مُهَيَّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْمَجَازِبِ إِلَّا بَخْبَرِ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ
عَنْ حُوبَاتِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَقْدَ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عَلَيْكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِنَوَابِكَ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذه له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
أُطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَيُودِي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوُلُ عِيَادَتِكَ
 فَأَحْبَلْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ فِسْمٍ كَقِسْمِكَ وَمَرَضَ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَطْنُ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا لَا نَصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدٌ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَنْسُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ أَلْتَحَذَّرُ
 وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبِكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبِكَ

فَصَلِّ

فِي الْإِهْدَاءِ

كتب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم اليربوع
 أيها السيد الشريف عشت أطول الأعمار بزِيَادَةٍ مِنْ

الْعُمْرُ مَوْصُولَةٌ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يَجِدَّ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَهْرُ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَفَّيْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالْتَمَسْتُ النَّاسِيَّ بِهِمْ فِي
 الْهَدَاءِ وَإِنْ قَصَرْتُ بِي الْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَأَحْظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ
 بِطَرْفِي إِلَى كَرَامٍ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَهَدِي مَالَكَ إِلَيْكَ. وَنَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أُمِيزْ
 مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْأَعْتِرَافَ
 بِالْتَقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْتَقْصِيرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهَدِي مَا لَا فَهْوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهْدِي شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَبِنٌ بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
 وَالشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتَضِيَّ بِسَنَةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديق له

لَوْ كَانَتْ أَشْخَفَةٌ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَا جَحْفَ بِنَا
أَدْنَى حُقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأَنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في النهاية

كتب ابو الفضل بن العبد الى عضد الدولة يهته بولدين

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ وَعَلَّوَهُ وَتَهَيَّيْدَهُ وَبَسَطَتَهُ وَتَوَطَّيْدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَّاؤُهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَوْفْرِ الْأَعْدَادِ وَتَكْثُرِ الْأُمْدَادِ وَنَشْرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ النَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِي الْأَبَاءِ
وَالْأَجَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ فُرْقَةٍ وَنَفْسَةٍ مِنْ مَسْرُوعَةٍ
وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةِ فِي عَدْدِهِ وَفَسْحِ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا بِسِرِّهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَاثِمَيْنِ وَوَرُودَهُمَا تَوَاقُفَيْنِ
بَشِيرَيْنِ بِنِظَاحِ النِّعَمِ وَتَوَاقُفِ الْقِسَمِ وَمُؤَذِّنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفُقَ الْعِلَاقِ وَيُنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النِّهَاقِ
إِلَى غَايَةِ تَفُوتِ غَايَةِ الْأَحْصَاءِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمناني إلى طاهر الداوردي بهشة بولود
حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ وَعَدَهُ وَوَافَقَ الطَّالِعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ الشَّأْنَ لَفِيهَا بَعْدُهُ وَحَبْدًا الْأَصْلُ وَقَرَعُهُ وَبُورِكَ
الْغَيْثُ وَصَوْبُهُ وَأَبْنَعُ الرُّوضُ وَنَوْرُهُ وَحَبْدًا سَبَاطُهُ أَطْلَعَتْ
فَرَقْدًا وَغَايَةُ أُبْرَزَتْ أَسْدًا وَظَهَرَ وَافَقَ سَنَدًا وَذَكَرُ يَتَقَى
أَبَدًا وَمَجْدٌ يَسَى وَلَدًا وَشَرَفٌ لِحِمَةٍ وَسَدَى
أَنْجَبَ كُلٌّ مِنْ وَالِدَيْهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
فَالْفَيَاهُ شِهَابٌ ذُكَاةٌ وَبَدْرٌ عَلَاةٌ

وَوَجَدَاهُ ابْنَ جَلَا أَبْيَضَ يُدْعَى الْجَفَلَى
لِمِثْلِهِ أَوْ لَا فَلَا إِذَا النَّدِي أَحْمَلَا

وكتب بعضهم بهي صديقاً له بالفندوم من سفر

أَهْنَى سَيِّدِي وَنَفْسِي بِهَا يَسِّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغَيْبَتِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهنئة بالنيروز

أَقْبَلَ النَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ اللَّهِ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْبَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلْيَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَضْحِبًا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمَوْكِدًا لِلْوَعْدِ
يَطُولُ بَقَائِهِ حَتَّى يَهْلَ الْعُمْرُ وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ الْأَيَّامَ وَيُلْبِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمِيرًا نَاهِيًا فَاهِرًا عَالِيًا تَهْبِيًا الْأَعْيَادُ
بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ الْعَمَّاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فصل

في الاستنارة

كتب الوزير الكاتب ابو الفضل بن حسداي إلى عبد الرحمن بن طاهر
مَحَلِّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ

الدَّارُ وَعِيَانِكَ فِي أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْهَزَارُ
 فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِمِثْلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
 نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ اللَّحْظِ فَلَا عَائِدَةَ
 أَسْبَغُ بَرْدًا وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالْخُفُوفِ
 إِلَى مَا نَسِ يَتِمُّ بِمِشَاهِدَتِكَ التَّامَّةِ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضِرَتِكَ
 أَنْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْأَجْمَالِ بِالْإِمْتَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
 الْأَمَالِ وَحَسْبِيَ مَا تَحَقُّقُهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي وَتَبَيُّنُهُ مِنْ
 تَطْلُعِي وَتَوَقُّقِي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْتِياجُ بِاسْتِحْكَامِ الثِّقَةِ
 وَأَعْتَرَضَ الْإِنْزَاجُ بِإِرْتِقَابِ الصَّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ
 بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانِسَةِ عَهْدًا
 وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْنِضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
 وَحَمْدًا لَا زِلَّتْ مِنْهَا بِالسُّعُودِ الْمُتَهَلِّلَةِ مُسَوِّغًا أَجْنَلًا
 غُرَّرَ الْأَمَانِي الْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنْتِهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط إلى صديقي له

يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمٌ قَدْ تَقَبَّتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ
 وَذَهَبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْهِدَامِ وَنَحْنُ مِنْ فِطَارِ الْوَسْطِيِّ
 فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّصَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَفَمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَقَاةِ الْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي الْمَدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشَّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَايَكَ فِي مُصَافَحَةِ
 الْأَقْمَارِ وَمُنَافَحَةِ الْأَنْوَارِ وَأَجْنِلَاءِ غُرْرِ الظُّبَاءِ الْمُجَوَّازِ
 وَاتِّفَاءِ دُرَرِ الْغِنَاءِ الْمُجَازِ مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه الصاحب ابن عباد إلى صديقه له

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٌ إِلَّا مِنْكَ
 قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عُيُونُ النَّزْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَنَفْسِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَمْزَجِ وَفُتِنَتْ فَاَرَاتُ النَّارِجِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَتْ رِيَاحُ الْأَقْدَاحِ
 وَنَفَقَتْ سُوقُ الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمَدَّ سَحَابُ
 النَّدَى فَجَبَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصِفُو
 إِلَّا أَنْ نَتَنَاوَلَهَا يُمْنًا وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 نَعْبَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِنِجِهِ قَدْ أَحْمَرَتْ خَجَلًا لَا يَبْطَأُ ثَلَاثُكَ
 وَعُيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْقَائِثِ

وكتبه ابو الطيب المتنبي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله
وانقطع عنه عند ابلاله

وَصَلَّتْنِي وَصَلَّكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعْتَنِي مُبِيلاً فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
تُكْذِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحِبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فصل

في الوصاة

كتبه الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكَا فَاتِهِ
فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرِفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
مَكَا فَاتًا لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتبه عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا
لِأَمْلِي وَرَأَيْتَنِي أَهْلًا لِلْحَاجَةِ وَقَدْ أَفْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمْلَهُ

وكتبه ابو بكر الخوارزمي الى صديقه له

أَلَا يَأُمُّ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَا جِمَّةٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَقَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُقُوفِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مِيدَانِ الْهَيْبَةِ وَتَنَازَعُوا
خَصَلَ الْأَنْسِ وَالثَّقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونُ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذَكَّرُ مَعَهُ لِأَحَقِّ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مَحَبَّةِ
مُرَبَّاهُ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْدُعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ
سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيْفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَارَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَلَّ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يُجِبْ لِي فِيهَا أَسْمٌ وَأَنْ تُنْخَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا فِسْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَلْبِي أَرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرْعِ أَلْتَلَطُّ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضُنَابِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصَيَانَةِ
لِحْلِهِ عَنْ مُدَانَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُقْتَسِمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرَهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرٍ بَيْنَ هَاطِلَتٍ عَلَيْهِ

سَحَابُ عَيْنَيْكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنِحَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُو
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِلِهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةٌ تَقْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ
بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي فَمَا
ظَنَنْكَ بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي أَمْ تَرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا
أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا



فصل

في الشكوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طوّل
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالِ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْتَهَوْا

وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهُ

وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنَبَةِ إِلَى كَنْفِ

رَحِيبٍ وَجَنَابٍ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلٍ شَائِعٍ

وَوَجْهٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجْتِيهِ

تَلْعُ أَنْارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بَشْرِي النِّجَاحَ فِي

تَبَاشِيرِهِ وَقَمِ يُبَشِّرُنِي بِإِتْسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَنِي بِكَلَامِهِ

وَيُخَبِّرُنِي بِاللُّحْجِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَرَجِّمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا

رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَحْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِحِ

سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالِ

وَعَنْ يَسَارِي الْجَلَالِ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يَقْدُمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ

وَأَرْوَحُ عَنْهُ فَيُشِيعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأَحِيلُ حَوَائِجِي مِنْهُ

عَلَى جَبَلِ الْجُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تُثْقُلُ عَلَيْهِ

الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْأَسْتِقَاءُ

وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالَةُ وَلَا يَرَى قَعْرَهُ وَلَا يَدْرِكُ غَوْرَهُ

وَأِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ

صَوْتِ رَحَى الْأَضْرَاسِ مَنْ وُلِدَ فِي طَالِحِ السَّخَاءِ وَغَدِي

فِي حُجُورِ الْكُرْمَاءِ وَقُرْعَ سَمْعُهُ مِنْ دُصْبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَمُرْنَ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
 وَالثَّقَلِ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَارِزًا
 حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أُمَامِي تَرِفُ بَعْدَ مَا بَيَسَتْ
 وَوُجُوهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَتْنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
 الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أُمِّي الْحَامِلِ
 وَسَكَتَ لِسَانِي الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ قُتُورَ التَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ
 وَغَابَ مُبْتَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ
 مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَبْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَأَيْتُهُ مَرْتَبَةً الْأَمْوَاتِ
 وَلَا قِمْتُ عَلَيْهِ مَا تَمَّ الْمَهَاتِ وَمَحَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةٍ
 الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَجِ مَنْ لَا أُطْرِقُهُ بِحُرْمَةٍ
 وَلَا أَتَنَاولُهُ بِطَرْفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
 حَشَدَنِي فِي جُهْلَةِ الْعَامَةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَةِ
 وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرِ قُدَّامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلَقَنِي الْهَوَانَ وَفَجَعَنِي
 بِدُرِّيهِمَاتٍ جُبِعَتْ بِتَغْمِ الْمَهَالِكِ وَأَخْتَرَنِي الْمَسَالِكِ
 وَالْمَهَالِكِ وَدَنَانِيرَ قَطَعَتِ الْفِنَارَ وَخَاضَتِ الْبَحَارَ

وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثُ وَالْأَقْدَارُ فَإِنْ بَدَّلْتَهَا أَبْرَزْتُ وَفَرَا
طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَتَبَذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبَلُ عَلَى الْجَبَالِ التَّجَلُّلَ وَأَوْثِرُ الْبَذْلَ
عَلَى التَّبَذُّلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرَ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءِ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَنَابَعَنِي رَجُلِي الْأَبِيَّةُ فَدَخَلْتُ الدِّيُونَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ الْإِنْفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْخِفَافِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّ النَّظَرَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي
مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدْرِ وَإِنِّي لَأَغَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَجُلُّ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَجُلُّ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي
إِعْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَتَلَانِي اللَّهُ بِعَجَائِلِ الْغِيَرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ
الْغَمَةِ وَالْحَمِيَرَةِ فَإِنْ أَتَلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ قَلِيلَ الْمُدَارَاةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرْجٌ أَرْجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَنْجِبَعُ فِيهِ وَهَلْ يَحْرِكُ لَفْظَةً مِنَ الْفَاطِيهِ أَوْ لِحْظَةً

مِنْ أَمْحَاطِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا نَصَبَ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى
عَرَضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى السَّجِّ
فِي هَذَا الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ بِسِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَغْطِمُ مِنْهُ كَيْثًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُرَّ يَسْعُ الدَّفِيقَ بِفِطْطِهِ
وَالْحَجَلِيلَ بِهَيْئِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السَّمِّ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الزَّبَاقِ الْبَطِي
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي تَقْدًا وَدَوَائِي وَعَدًا

وكتب الوزير الكاتب ابو المطرف بن الدباغ الى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَنْدَرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي
غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَمِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةِ مَنْ سِهَامِهَا
فَالنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَالنَّالِمُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ أَرْتَفَعَ
كَذَلِكَ التَّفْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانَ وَالْخَطْبُ إِذَا أَشْدَّ لَانَ
وَالْحَوَادِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي أَشْدَادِهَا
وَتَزَايَدَتْ عَلَى أَمَادِهَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى اهلوه وهو مهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْكَرْهِ
وَالسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ الْخَطُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَتْهُ

بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَغَدَا كَانَتْ
 أَذَانُنَا أَفَاوِيْقُ اسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَمَعَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحْنَا مُوَلَّةً
 فَمَلَحَ عَذِبُهَا وَخَشِنَ لَيْسُهَا فَأَبْعَدْتَنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَقْتَنَا
 عَنِ الْأَخْوَانِ فَالْدَارُ نَارُحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ
 وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ تَقِمَ
 الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْهَدْيِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ بَلَغْنَا
 ظَهْرَ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارٍ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأَسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةَ جَامِعَةٍ فِي دَارِ آمِنَةٍ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي من رسالة

إِنَّهَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِفْنَا حَلَاوَةَ الْأَجْنِيعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةً
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يَتَعْنَا بِأَنْسِ الْإِلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنُ
 التَّلَافُفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوهُ

وَيَسُرُّ وَيَحُلُّ وَيَهْرُ وَلَا أَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاهَةِ
صَنْعٍ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مُنَاحِي وَيُقْصِرُ مَدَّةَ الْبِعَادِ وَالْتِرَاحِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ بَعَيْنٍ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَيَّ حَظِي بَعْدَ إِعْرَاضٍ
وَأَسْتَأْنِفُ بَعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ الْهَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَا مُونَ
الْأَفَاتِ وَالْفَوَائِلِ

فصل

في التعازي

كتبه أبو الفضل بدیع الزمان المہدئانی إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَالِئِهِ أَنْفَاجٌ بِآخِرِينَا
قَتْلُ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلَتِ الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنَ مَا فِي الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو الْجَمَلَ إِذَا سَاءَ وَبَخْصُ بِالنِّعْمَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَفَكِّرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ قَلْبُهُ أَنْ يَشْمِتَ وَلْيَنْظُرِ
أَلَمْ يَنْسَأْ فِي الدَّهْرِ وَصُوفِهِ وَالْمَوْتُ وَصُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ غُيُوبِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثْرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لَتَدِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيرًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّاهُ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
 مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِحَبَا جَبَرًا
 وَيَهْلِكُ صَدْرًا وَلَيْتَأَمَّلِ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
 الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
 وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَائِبِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ
 لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ بِمَنَةِ
 هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
 وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هُذِهِ
 الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هُذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيبِهَا صَدْرًا لَا
 يَمْلَأُهُ فَرْحًا وَلِيُوسِّهَاقَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرْحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
 بِرَأْيِي مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيِّ رَحَى وَلَقَدْ دُعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَيْصَةَ
 قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرْبَهُ فَعَرِضْتُ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
 وَأَمَانِي سُدًّا وَبَكَيْتُ وَجُودُ الشَّيْخِ بِمَا يَهْلِكُ وَضَحِكْتُ
 وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَضَضْتُ الْأَصْبِعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
 وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبَ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَسُنَ
 حَتَّى لَانَ وَتُكِّرُ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبَهَا وَخَبِثَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلُ
 عُيُوبَهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّمَّ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا
 فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرُ النَّاسِ نَتَعَلَّمُ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
 وَالتَّجْبِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا نَحْتَنُّ عَلَى التَّجْبِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
 وَلَا نُرَغِّبُ فِي التَّجْزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلْيَرْفَعْ رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

والمصحح بعزي احد اصدقاؤه بنسب له توفي ايام الوباء

أَسْبَاحُ تَرَوْحُ وَتَحْيِ وَأَجَالُ نَهْسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسُ
 نَتَقَطُّ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفَا وَعِبْرَاتُ تَنْقَطِرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا
 وَمَا عَمَدَتِ الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِنَافِ مَدَمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ
 إِلَّا يَوْمَ الْإِلَاحِ مُوجِعٍ إِنَّمَا هِيَ سَنَةٌ أَلْخَلَقَ كَوْنَهُ بِلَيْهِ زَوَالٌ
 وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْحِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْفُوتًا وَإِنْ
 لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مَقْدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
 يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيَصِيرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرْدَّ مَاضِيًا
 وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ لَوْلَا مَا بَغَا لِي فِي
 عَلَى الْعَرَاءِ مِنْ كَيْدِ حَرَى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفْرَةٍ نَتْرَى
 ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي
 الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لِيَالِي بِاللَّيْلِ حَتَّى مَا بَالَتْجَمُ سَهَادُ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحَ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كَيْدِي فَإِنَّ الْأَفْدَارَ سِهَامٌ إِذَا
انْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ الْمُنْطَلِعَ إِلَى الْفَأْتِ لَطَوِيلُ شُقَّةٍ
الْكَيْدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهْيٌ هِيَ وَإِنَّمَا تَنْفَاوَتْ عِنْدَ الْمُجَلِّدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحَزْوَاعِ ثَقِيلَةٌ

وَضَخَمَ الصَّفَا عِنْدَ الصُّبُورِ خَفِيفُ

وَإِنِّي لَأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحَلِيمِكَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلَبْتَ الْقُلُوبَ عَلَى جَهْرَاتٍ لَا تَنْدُرِي أَيُّهَا
أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشُّكُوى
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظْلُمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةَ الْعُيُوبِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ
الْحَزُونِ بِمَنْةٍ وَكَرَمِهِ

والمصحح أيضا الى صديقي له جوابا عن كتابه بنعي اليه فيه احد

انسابه ويعزيه بنسب له

وَرَدَّ كِتَابُكَ بِجَذْبِهِ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَهَنْ لِي يَعْبرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقُّا الْأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْهَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ الْبَلَوَى بِكَاسَيْنِ فَهَزَجَ عِبْرَةً بِعِبْرَةٍ
وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعِزِّ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْخُفُونُ
وَمَا تُثِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللَّهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالِدَمْعُ
لَا يُسِغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحْشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقَرُّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكْرَهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدُ الْمُرَيْنِ وَالْإِتِّجَاءِ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نِدَاوِي
بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدُ الدَّاءَيْنِ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَكَيْلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد بعزبه بابتدائه

نَحْنُ مَعَاشِرُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُتَحَبِّئِ أَعْبَاءِ نِعْمَتِهِ وَالْمُتَسَبِّحِينَ
بِسْمِهِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ قَرَأْتُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَا بِهَجَا لَسْتِهِ وَغَسَلْنَا عَنْهَا وَضُرَّ التَّغْيِيرُ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِهَا نَرَاهُ وَتَعَلَّمْنَاهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبَطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ أَمْحَالُ هَذِهِ مِنْ أَمْحَالِ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْءِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَحْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذَلَهُ كَلَامِهِ مِنْهَا أَرْبَعُ وَبِدَاعُهُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبَدُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْمُحِبِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلَمُهُ بِمَا يُتَرْجَمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبَّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِّبَهُ فِي أَيَّامِ الرَّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارَكَ فِي أَيَّامِ الْغُيُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى أَمْحَالَتَيْنِ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي
جَرِيدَةِ الشَّرْكَاءِ الْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ
فَاغْتَمَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَنَفَذْتُ إِلَى سِهَامِ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَفِي أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْمَجْنَبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَنْفَذَ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَنْتَالَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي النُّصَّانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَفِي أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِسْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْيَاوُهَا
وَأَنَّهَا الْغَمُّ سَمُّ تَرِيافَةِ الْمُبَائَةِ وَالْمَوْتُ خَرَقُ رَفْعَةِ التَّسْلِيَةِ

وَالْتَعَزُّيَةُ . قَالَ ذُو الرِّمَّةِ

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعِيبُ رَاحَةً

مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَحْيَ الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ

الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوِّذُ بِهَا وَجْهَ الْجَمَالِ فَلَا تَنْ

تَكُونِ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ

فَأُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْحِنَةِ مَنَّةً وَمَنْجًى بِاللَّزَّةِ

فُرُوحَةً فَسَتَرَعُورَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسًا وَنَزَّهَةً وَكَفَى

مَوْنَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَحِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ

حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَنْكَلَ

وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُتَبِيلِينَ الْمُجْدُودِينَ فَإِنَّ

الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ لَهُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ

وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ

وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مَحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً

بِحُتْمَا وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونُ وَمَنِ الْمَغْبُوتُ وَأَنَا

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَوَفَّاةَ لِي وَلِذِيهَا فَرَطًا وَأَجْرًا

وَكُنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْمُنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِيهِ وَالِدَتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ
عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَالَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعِرْقِ لَيْسَتْ فِي الشَّيْخِ فِي يَوْمِهِ أَجْرُ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ وَلَيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعِبَادِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةً
حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ الْقُصَصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مُسْتَطَرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَانَفَةً حَتَّى يَشْتَغِلَ بِالتَّهَانِي عَنِ التَّعَازِي وَبِالْمَدَاحِ

عَنِ الْمَرَاتِي

وَكُتِبَ عَبْدُ الْحَبِيدِ بْنُ بَيْحَى عَنْ مَرْوَانَ إِلَى هِشَامٍ بِعَزَائِهِ بِأَمْرَاهُ
مِنْ حِظَايَاهُ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسَبَتِهِ وَقَرَبَتِهِ
إِمْتَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَهَيَّأَ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِيَتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُتَلَبِّ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعَوْضِ فَأَلْحَمَهُ اللَّهُ
رَبَّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتبه ابو اسحق الصائغ الى محمد بن العباس بعزبه بطبل
 الدنيا اطل الله بقاء الرئيس اقدار ترد في اوقاتها
 وقضايا تجري الى غاياتها ولا يرد منها شيء عن مداه ولا
 يصد عن مطلبه ومناه فمهي كالسهم التي تثبت في
 الأغراض ولا ترجع بالاعتراض ومن عرف ذلك
 معرفة الرئيس لم يأسر عند الزيادة ولم يقنط عند
 المصيبة وأمن أن يستخف أحد الطرفين حكمه ويستنزل
 أحد الأمرين حزمه ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة
 قبل نزولها وتأخذ الأهبة للحالة قبل حلولها وأن
 يجاور الخير بالشكر ويساور المحنة بالصبر فيخير فائدة
 الأولى عاجلاً ويستهرج عائدة الأخرى آجلاً وقد
 نفذ من قضاء الله تعالى في المولى المجليل قدراً الحديث
 سناً ما أرمض وأقض وأفلق وأمض ومسي من التالم
 له ما بحق على مثلي ممن توالى أيدي الرئيس إليه
 ووجبت مشاركته في البلم عليه فإننا لله وإنا إليه
 راجعون وعند الله من نخسبه غصنا ذوى وشهاً خبا
 وفرعاً دل على أصله وخطباً ابنته وشجته وإياه أسأل

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَنِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَيْنِ بِجُودِهِ
 وَمَجْدِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْمَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِثُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَزَهَّهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْأَنَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِحْضَارِ عَنِ مَلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ قَوَّرَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا نَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءًا
 السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدْنِسْهُ الْخَبَائِرُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكِبَائِرُ قَدَّرَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسَمَهُ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَالْحَقَّةَ بِالْصَادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذَلِكَ
 قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤْيِيهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَايِنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْمُحْرَقَةُ وَحِمَاهُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافِقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمُفَارَقَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْمُبْتَقَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَاهُ وَعَزِيْزُ
 عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى النَّوْجِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سَلَاةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلَكِنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمَنْحَجُ
الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مَنْ فِيهِ يَقْبَلُ مَنَفَعَةُ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْأَسْنَبَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودُ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
الْأَعْيَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّئِيسِ الْمَصَائِبِ وَيُعِيذُهُ مِنَ
النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُتَّقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْقَصٍ وَيَقْدِمُنَا إِلَى السُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى الْحَذَرِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي

والمصحح إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْفَضَاءَ وَافِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْغَبْ دَهْرُهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْ
الْأَقْدَارِ بِفِتْنَةٍ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ الرِّزْيَةُ إِذَا أَغْنَاكَتْ وَلَمْ
يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَاكَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَفْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْبَالِي كَهْنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْمَوْجُودِ وَلَا أَرِيدُكَ عِلْمًا بِالْكُونِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّئَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءَ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنْ النَّاسِيَةِ مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالٍ
 مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَفَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَبًا عَلَى أَشْجَابِي وَنَكَأَ مَا تَمَائِلُ
 مِنْ فُرْحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَّرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أَبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكُنَّا نَمَّا
 إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعْزٍ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَأَكْثَابِهِ
 وَهَذَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْمَالِ
 وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُنْتَحَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالْفِطْنِ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِالْعَزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا يَا نَاسَاءَ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبْلِغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْنَكُمْ وَآلِهِ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ
 عَفْوًا عَظِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

— ❦ —

فَصْلٌ

فِي الْخُطْبِ

خُطْبَةُ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيرِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَتَنَفَّحْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُتَعَمِّمُ
 لِحُجِّ الْجِبَارِ وَمَفَاوِزِ الْفَقَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ أَتْجِبَالِ
 وَعَالِجِ الزَّمَالِ يَصِلُ الْغُدُوَّ بِالرَّوَّاحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُحَنَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَبَتْ عَلَيْهِ مَنِينَتُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِينَتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَفَى الْقِيَامَةَ مُحْسُورًا أَيُّهَا اللَّاهِي الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
 حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا
 يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيكَ إِلَى
 قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَةٌ كَفَعْلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ
 وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
 وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
 لَمْ يُمَتِّعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبَنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا
 تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَاتًا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسِيلِهِمْ
 سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَانْقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
 الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْحَيَالُ وَتَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايُرُ
 الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمِئِذٍ تَرَكَ
 أَقَائِلَ هَاؤُمُ أَفْرَأَوْا كِتَابِيَّةً أَمْ يَأْتِيَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةً نَسَأُلُ
 مَنْ وَعَدْنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولّاه عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يحشر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلَبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نَزَارِ كَصَلِّ السَّيْفِ وَضَاحُ الْحَبِينِ
 وَمَاذَا تَبَغَّبِ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُحِبِّعُ أَشْدِي وَتُجِدُنِي مَدَاوِرَ الشُّؤْنِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحِلُّ الشَّرِّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَائِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أُيْنَعَتْ وَحَانَ فِطَانَهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَالْحَيِّ تَتَرَفَّقُ
 هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَأَشْتَدِّي زَيْمُ
 قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمَرِ

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمِ
 وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمِ
 قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ
 مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِي
 قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ
 وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرَّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
 إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِيِ
 الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَتِفَازِ النَّيْنِ وَلَا يَقَعُّعُ لِي

بِالشَّانِ وَلَقَدْ فُرِثُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجَرِبَةٍ وَأُجْرِيتُ
 مَعَ الْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرًا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَى كُمْ
 وَرَمَاكُم بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَ مَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْقَيْنِ وَسَنَتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَيُّمُ اللَّهِ لِلْحَوْنِكُمْ لِحَوِّ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَنْكُمْ فَرَعُ الْهَرَوَةِ وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبُ السَّلَامَةِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبَ عِرَابِ الْإِبِلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا أَفْرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَقْبِلُنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
 وَجَدْنَهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعَثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتَهَيْتُ
 مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله ايضا بعد وقعة دبر الجواجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَنْفَاحِ وَالْأَصْبَاحِ ثُمَّ أَرْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمُوهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ أَوْ يَجْزِيَكُمْ
 إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيْمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَايِ حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْقَدْرِ وَاسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَجْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسُلُونَ لِي وَآذَا وَتَهْزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَايَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبِرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَتُكُوصُ وَلِيَّهُ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْأَبِلِ الشَّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَصَبَتْكُمْ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَبَرِ الْجَبَاحِمِ وَمَا دَبَرِ الْجَبَاحِمِ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ بِضَرْبِ يَزِيلِ الْهَامِ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكَفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْقَدَرَاتِ بَعْدَ الْخُتَرَاتِ وَالثَّوَرَةِ
 بَعْدَ الثَّوَرَاتِ إِنْ يُعِثُّمْ إِلَى نُفُورِكُمْ غَلَبْتُمْ وَخِثْتُمْ وَإِنْ
 أَمِيتُمْ أَرْجَيْتُمْ وَإِنْ خِثْتُمْ نَاقَفْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَحْفَنُكُمْ نَاصِثٌ أَوْ

اسْتَغُواكُمْ غَايَ أَوْ اسْتَفْزَكُمُ عَاصِيَّ أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ
 أَوْ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِجٌ إِلَّا وَتَقْتُمُوهُ وَأَوْتِسُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ
 وَتَصَرَّيْتُمُوهُ وَرَضِيْتُمُوهُ وَأَرْضِيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
 شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
 إِلَّا كُنتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنَهَكُمُ
 الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزَجُرْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
 لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ وَيَبَاعِدُ
 عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكْنِهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضَّبَابِ
 وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ الْحَبِيبَةُ وَالرِّدَاءُ
 وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعنة بن ابي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتِبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
 الرَّمَاكِ وَطَبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِغُهُ
 حُلُوقُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ
 أَفَحِينَ اسْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
 الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَالًا أَرْجَفْتُمْ بِالْمُخْلِيفَةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
 وَخُضْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَارْجُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلِمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَعْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَنَكَلِكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيهَا بَطْنٌ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 أَتَوَكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ

وله أيضاً

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَمْتُ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لَيْلِينَ مَسِيٍّ إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذْ
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِقَاصَ لِلْسَلَفِ فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَنَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بَطُونِ السَّيَاطِ فَإِنْ حَسَبْتَ دَاءَكُمْ وَالْأَقَالَسِيفُ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَجْلُ عَنْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْبَعْصِيَةِ
 وَلَا أَوْثُسَكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ
 أَبْرُ وَأَنْفَى

وَيُنْسَبُ إِلَى سَهْبَانَ وَائِلَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَّوَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فِيهَا حَبِيبَتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالِ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدِمَ فَقَدِمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ فَرَضًا وَلَا تَتْرَكُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا

—••••—

فَصْلٌ

فِي الذَّمِّ وَالْقَطِيعَةِ

كُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ

وَصَلَّ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ عَتِّ الْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرْجِعَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَائِحِ مِنْ جَوَى الْأَسْتِيَاقِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَشْكَالِ وَأَعْنَقَنِي مِنْ مَخَالِيكَ اعْتِنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَا وَأَبْرَأَنِي مِنْ عَهْدَتِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرْكًا وَلَا أَسْتَشْنَاءَ وَنَزَعَ مِنْ عُنُقِي رِبْقَةَ الذِّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيِ

جَفَاكَ - وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
 الشُّوقِ بِالسُّلُوِّ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ
 الْوَجْدِ مَاءَ الْيَأْسِ وَمَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَامَ فَطُورِي
 بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَازَ كَيْدِي فَلَا حَمَّ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
 الْعَزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
 إِلَيْكَ نَزُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
 وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَيَّابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
 وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَّ لَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
 حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْبِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقِكَ
 فَأَذْهَبَ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ
 ذِمَّ عَهْدِكَ

وله اليه ايضاً من رسالة

وَهَبْنِي سَكْتٌ لِدَعْوَاكَ سَكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيْتُ رَضَى
 مُسَخِّطٍ أَيْرَضَى الْفَضْلَ أَجْزَاكَ بِأَهْدَايِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ
 وَأَصْحَابِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمِ خُطَابَهُ حَتَّى أُنْشِدَكَ
 لَوْ بَابَاتَيْنِ جَاءَ بِخُطْبَاهَا ضُرُجٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ يَدْمُ
 وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلِي تَصَدَّقْتُ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَوَجَّجْتَ

بِالثَّرْيَا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّيْتُ بِمِنْطَقَةِ الْحُجُوزَاءِ
وَتَوَشَّحْتُ بِالْحَجَرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عُطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غُفْلًا لَا سِيَّامَعَ قَلْبِهِ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَائِكَ
وِظْلَمَةِ مَا نُبْصِرُهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَائِكِ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَهْدَائِكَ وَتَصَفِّي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي أَخْيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتَهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَسْتَهُ
فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَا رَوِيًّا لَمْ
يُرَجَّ زَكَوُّهُ وَلَمْ يَجْرِ مَأْوُهُ وَلَمْ يَنْتَفِعْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ يُجَنِّ
ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ فَيَا دِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا بَحَنَاجُ إِلَيْهِ الْمُسَاهِرَانِ وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ
الْمُتَالِفَانِ وَهِيَ مُهَازِجَةٌ طَبَعٍ وَتُؤَافِقُهُ شَكْلٌ وَخَلَقٌ
وَمُطَابَقَةُ خَيْمٍ وَخَلَقٌ وَمَا وَصَلْنَا حَالَ جَمْعَتَنَا عَلَى أَتْلَافٍ
وَحَمْنَتَنَا مِنْ أَخْلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفٍ ضِدِّينَ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتْ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبَعَادِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالنَّجَادِ وَأَبْعَدُ

مِثْلَ بَيْنِ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرَ مَا بَيْنَنَا مِنَ النَّفَارِ أَكْثَرَ
مِثْلَ بَيْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وكتبه أبو الفضل بديع الزمان الهمداني من رسالة إلى أبي نصر

ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَمَّنَى لِلْكِتَابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيَهْدِلَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوطِئَهُمْ أَعْرَافَ
الْعَمَلِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرَكِّبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُبِيلَهُمْ فَوْقَ
الْكِفَايَةِ وَلَا يَهْدِلَهُمْ فِي حَبْلِ الرَّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغُونَ
لِلنِّعَةِ يَنَالُونَهَا وَالْدَّرَجَةَ يَعْزِلُونَهَا وَسَرَّعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِمَا يَنْظِمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُسَيِّمُ
أَيَّامُ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتِ الْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ
الصَّعُوبَةِ وَالْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا أَتَتْهُمُ السَّمُطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
أَنْفَرَجَ الْمُسْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْحَظَةُ حَمَقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْ صَكَ جَعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرٌ وَدُّهُمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابٌ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَكَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسْبِلَتْ سَتُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَّتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْقَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
أَنْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا تَقَصَّ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْوْفُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قَبِحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَازَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَكَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا قَصُرَتْ أَيْدِيهِمْ وَقُصِرَ أَحَدِهِمْ
مِنَ الْعَجْدَانِ لَا يُخْرِجُ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْارِثَ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدَّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فَصْلٌ

فِي الدُّعَاءِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْلِدْ بَارِدًا وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَالصَّحْفُ مَشُورَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَالتَّصَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ الْفَرَاقِ وَحَشَلُ
النَّفْسِ وَعَكَزَ الصَّدْرُ وَتَزَيَّلَ الْأَوْصَالُ وَنُصُولُ
الشَّعْرِ وَأَجْنِيفُ التُّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَقْطَعُ الْعَمَلُ أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْفَيْزِ وَغَيْبِهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تَغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا أَفْتَرَضْتُ
عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمَ وَتَدَارَكْتُ
عِنْدَكَ مِنْ الذُّنُوبِ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا أُنْزِلَتْهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا لَا فَاحِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَرْذَلُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ لَا تَحْقِقْ
 عَلَيَّ الْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمَتْنُهُ عَاجِزٌ قَدْ انْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلَقْتَ جَدَّتَهُ
 وَتَمَّ ظِمْمُوهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْحُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ وَإِسَاقَةِ الرِّيقِ
 وَتَأْخِرِ السَّدَائِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلِّهِ بَعْدَ عَلَيْهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي فِتْيَلُهُ وَلَا
 يَخَيِّبُ سَائِلُهُ وَلَا يَرُدُّ رُسُولُهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الْذُلِّ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 سَمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيْبَةِ الرِّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعْمَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَم
 وَإِنْ تَرَكِي الْإِسْتَغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ إِلَهِي
 كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ



فصل

في القول عند الوقوف على القصور

قالت أعرابية

وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا
وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَذِيْعُشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ وَالنَّسَمِ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ طِيفِ الْثَرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَحِيْقًا
وَصَعِيدًا جُرْزًا أَيُّ بَنِيَّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى وَرَمَيْتَنِي نَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَيُّ
بَنِيَّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيُّ

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْجُودُ وَهَتَّةَ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ
 فَلَمْ تَتَّبِعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَأْتُ ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
 وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ
 اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِرْ وَحْشَتَهُ وَأَسْخَرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
 تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ وَالسُّوءَاتُ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
 لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
 مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
 بَنِي أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعْنِيكَ فِي أَحْسَانِي جَنِينًا
 وَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَّ أَنْسِهِنَّ
 وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
 الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ مَحَبٍّ فِي جَنِّ وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنِ نَسَأَلُ
 الَّذِي فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَأَبْلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
 الْخَبْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوَسِّعَ لَكَ فِي
 قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي

الْعَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوفِدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَبِيدًا مَوْدُودًا وَمِتَّ سَعِيدًا
 مَفْقُودًا

وقال حيان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنَّمَا ظَلَمًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشْنُ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 الْحَجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيبًا بِوَعْدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسُ
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتَمٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ اللَّغَاءِ فِي صِفَاتِ شَتَّى

في وصف البلدان

بَلَدٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةٍ أَلْخُلْدِ مَنْقُوشَةٍ فِي عَرْضِ الْأَرْضِ *
 بَلَدٌ كَأَنَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بَلَدٌ تَرَاهَا عَنَبٌ وَحَصْبًا وَهَاقِيقٌ وَهَوَاقُوهَا نَسِيمٌ وَمَا وَهَاقُوهَا
 رَحِيقٌ * بَلَدٌ مَعْشُوقَةُ السُّكْنَى رَحْبَةُ الْمَهْوَى كَوُكْبَهَا
 يَقْطَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمُهَا غَدَاةٌ وَلَيْلُهَا سَحَرٌ * بَلَدٌ
 وَاسِعَةُ الرُّفْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُقْعَةِ وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسَرَّتْهَا وَوَجَّهَهَا
 وَغَرَّتْهَا

في وصف الفلاح

قَلْعَةٌ حَلَّتْ بِالْحَجْوِ تَنَاجِي السَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تَشُوخٌ بِالْغَيُومِ وَتَجَنَّبِي النُّجُومِ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَّةٌ فِي الْحَصَانَةِ
 مُنْتَبِعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنُصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نَبِيٌّ

أَعْطَاكَ وَأَسْتَصْعَابَ جَوَانِبِ وَأَطْرَافِ قَدْ مَلَّ الْهَلُوكُ
حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَمِيتِ
الْحَيُوشُ ظِلِّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ فَنُوطٍ وَيَاسٍ فَمَيَّ حَتَّى لَا
يُرَاعُ وَمَعْفِلٌ لَا يَسْتَطَاعُ كَانَ الْأَيَّامُ صَاحِبَتَهَا عَلَى الْإِعْفَاءِ
مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْيَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوسِعُ الْعَيْنَ فُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسَرَّةً كَانَ
بَانِيهَا أَسْتَسْلَفَ الْحَبَّةَ فَعَجَلَتْ لَهُ * دَارُهُ تَحْجُلُ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَقْصُرُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارُهُ قَدْ أَقْتَرَنَ إِلَيْهِ بَيْنَاهَا
وَالْيُسْرُ بِسْرَاهَا الْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعُيُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارُهُ دَارُ بَالِ السَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَازَ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا
بِخْدَمِهَا الدَّهْرُ وَيَأْمُومُهَا الْبَدْرُ وَيَكْنُفُهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْجِعُ
النَّوَاطِرِ وَمَتْنَفُسُ النُّحَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَانَ الْجِنَانِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبْرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارُهُ لَيْسَتْ إِلَّا وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلِيِّ صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَ مَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ الْيَتِيمُ سُكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حَيْطَانَهَا * دَارُهُ شَاهِدُ أَلْيَاسٍ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَرْكَانُهَا فَيَامٌ وَقُعُودٌ وَحَيْطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيَّ الْحَاجِزَيْنِ الْيَوْمُ
أَمْسَعِرًا يَبْكِي عَلَى اللَّهِ وَاللَّهِ
أَمْ الْآخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِمْ

في وصف ايام الربيع

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غُيُومِهِ رِوَاقٌ وَأَرْدِيَةٌ نَسِيمِهِ رِفَاقٌ *
يَوْمٌ سَمَآؤُهُ فَاخِيَةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مَهْسَكُ السَّمَاءِ
مَعْصِفُ الْهَوَاءِ مُعْبِرُ الرُّوضِ مُصْنَدُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوضُ مَالِهِرِيعٌ * يَوْمٌ كَانَ
سَمَاءُهُ مُخْدَتْبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تَعْجَلِي * يَوْمٌ دَجَنُ
عَاكِفٍ وَقَطْرُهُ وَآكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ

الْمُنْظَمَةُ عَلَى الْبُرُودِ الْمُنْمَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفْتُ
 الْهَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَاضٌ كَالْعَرَائِسِ فِي
 حَلِيهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
 زَرَّابِيهَا وَأَنْمَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطُهَا زَاهِيَةٌ
 بِجَهْرَائِهَا وَصَفْرَائِهَا نَائِمَةٌ بَعِيدَاتِهَا وَغُذْرَانِهَا كَأَنَّهَا
 أَحْنَفْتُ لَوْفِدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
 تَضَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلْلِ
 الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاحِ الْمَسَلِكِ أَنْوَارُهَا
 وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
 مُحْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالنِّهَارِ * أَشْجَارُهُ كَأَنَّ
 الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا *
 شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ
 الْمِسْكِ عَلَى التُّوجَاتِ الْمُرَدَّةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
 عَقِيقِ أَحَدٍ مُلِئَتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرٍ * الْأَرْضُ
 زُمُرَدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْبَاءُ سَيْوْفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
 قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر
 لَيْلَةٌ فَصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ كَيْسَتْ
 لَهَا أَشْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَخْلُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَاحُ الْأَمْوَاجِ وَافِي الذَّوَائِبِ *
 بَاتَ بَلِيلَةً سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَانْكَحَلَ
 السَّهَادُ وَافْتَرَشَ الْقَتَادُ * انْكَحَلَ بِمَاءِ السَّهْرِ وَتَهَلَّلَ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلَقَ وَسَادُهُ * هُمُومٌ
 تَفَرِّقُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسَّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأقول النجوم
 قَدْ انْكَحَلَ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَاسْتَغْرَقْنَا
 شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ بَيْنَهُمُ النَّسِيمُ بِالسَّحْرِ *
 قَدْ انْكَشَفَ غُطَاءُ اللَّيْلِ وَسِتْرُ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَبَطَتْ
 ذَوَائِبُهُ * فَوُضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْفِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * إِفْتَنَصَ بَازِي الضَّوْءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ * طُرُزَ قَبِصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحِ بَسِيرَهُ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نَقَابَهُ * بَتَّ الصُّبْحُ طَلَائِعَهُ * تَبَرَّقَعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَافِحُ اللَّيْلِ
 بِجَامَاتِ الْكَافُورِ وَانْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ أَحْجُوزَاءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَاقَرَتْ
 عُقُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ الْحُوزَاءِ وَأَنْطَفَأَ قِنْدِيلُ الثُّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه
 وابتدائه وانتهائه

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَلْقَتْ الْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتْ
 الْأَضْحَى أَطْنَابَهَا * اِنْتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوِّ فِي أَفْقِ الْحُجُورِ *
 اِسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَا رَوْقُ الضُّحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كَيْدَ السَّمَاءِ * قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * اِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي فَرَارِ النَّهَارِ * نَفَضَتْ نَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتْ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَّكَتْ
 دَلُوحُهَا وَأَغْبَرَتْ كُوحَ اللُّوحِ * نَصَوَبَتْ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
 تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ فَأَذِنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * اِسْتَرَدَّ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالنَّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأَحْجَابِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَقِ
إِلَى مَجْمَعِ الْفَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أَرْتَجَزَتْ
رُعُودُهَا وَذَهَبَتْ بِرُوقِهَا بَرُودُهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالْرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِسْتَسَمَّ الْبَرْقُ عَزَّ قَهْقَهَةَ الرَّعْدِ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سِوْفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتْ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَانْحَلَّتْ
عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرَبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَيْسَتْ السَّمَاءُ سِرْبًا لَهَا وَسَحِبَتِ السَّحَابُ أَذْيَالَهَا *
قَدْ أَحْجَبَتِ السَّمَاءُ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَيْسَ الْحُجُومُ مَطْرَفُهُ
الْأَدَكْنُ * بَاحَتْ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضَرَبَتْ خِيَمَةُ
الْغَمَامِ * إِبْتَلَّ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَاعْرُورَقَتْ مُقَلَّةُ السَّمَاءِ *
هَبَّتْ شِبَائِلُ الْأَجْنَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَابِ * تَأَلَّفَتْ
أَشْنَاتُ الْغُيُومِ وَأُسْلِيَتِ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد وإيام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَأَلْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَّمَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ *
قَدْ عَادَتِ الْجِبَالُ شَيْبًا وَلَبِسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مَلَأَ فَشَيْبًا *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَائِكُمُ الثَّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَبْيَضَتْ لِمَمَهَا * بَرْدٌ يَقْضِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْسَاءَ *
بَرْدٌ يَجْهَدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ وَالْذَّمْعَ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمٌ
كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهْوِ لَهُ * يَوْمٌ فَضِيَ الْجِلْبَابُ مِسْكِي
الْقَابِ عُبُوسٌ قَطَرِيذٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ
الْأَرْضَ بِالْقَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّنَائِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَاءٌ إِذَا مَسَّهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَكَى سَلَسِلَ الْفِضَّةِ *
غَدِيرٌ تَرَفَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَّاحِ الْغَرَائِبِ * ائْتَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ *
اِئْتَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْجَبَرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جَمَالًا وَتَهْدُ مِنَ الْأَمْطَارِ جَبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا الرُّوضُ
وَتَخْضَرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَحِفُّ جُفُونَهَا وَلَا
يَحِفُّ أُنْيُنَهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ الثَّرَى وَنَبَهَتْ عَيْنَ النُّورِ
مِنَ الْكُرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقُرْبِ

في وصف الفيض وشدة الحر

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الصَّبِّ * قُوَى
سُلْطَانُ الْحَرِّ وَبُسْطُ بَسَاطِ الْجَهْرِ * أَوْقَدَتِ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذْكَتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفُحُ حُرَّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا أَشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرَبُ
لَهُ الْحَرِبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانِ
وَرَكِبَتْ الْمُجَنَادِبُ الْعِيدَانَ * حَرٌّ يُفْضِحُ الْجُلُودَ وَيُذِيبُ
الْجُلُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَشْتِدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ - بُحْرٌ أَذْيَالُ السَّمَاءِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ *

أَفْهَرُ لَيْلٍ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَهْرِ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُودِ بِضِدِّهِ وَاشْتَعَلَ الْهَيْضُ
 فِي مُسَوِّدِهِ * لَمَعَ ضَوْؤُ فَرْعِهِ وَتَفَرَّقَ شَبْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْظُهُ
 صَبْحُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُمْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابِ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلَ الدَّهْرُ شَبَابَهُ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَنْرَابُهُ * اسْتَبَدَلَ
 بِالْأَدْهَمِ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَتَقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أُسْفَرَ صَبْحُ الْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أَهْبَةُ
 الْكِبَرِ * نَفَضَ جَبَةَ الصَّبِيِّ وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحَجَى * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتُهَا الْأَيَّامُ وَفِضَّةٌ مَخْضَتُهَا التَّجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

الدَّوَاةُ مِنَ أَنْفَعِ الْأَدَوَاتِ وَهِيَ الْكِتَابَةُ عَنَادٌ وَلِخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُهُ غَيْرُ الْأَفْهَامِ وَلَا يُعْمَحُ بِغَيْرِ أَرْضِيَةِ

أَقْلَامُ * غَدِيرُ تَقْيِضٍ يَبَايِعُ الْحِكْمَةَ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ
 سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ * مِدَادُ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءِ
 الْقَلْبِ وَجَنَاحِ الْغُرَابِ وَلُعَابِ اللَّيْلِ وَالْوَانِ دُهُمُ الْخَيْلِ *
 مِدَادُ نَاسَبِ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأُسْعَارُ لَوْنِهِ مِنْ شَرْخِ
 الشَّيَابِ * أَقْلَامُ جَمَّةِ الْحَمَاسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْهَطَّاعِينَ *
 أُنَابِيْبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ
 فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتْ الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَقْلَامُ كَانَتْهَا
 الْأَمْبَالُ أَسْتَوَاءً وَالْأَجَالُ مَضَاءً بِطِئَةِ الْحَفَى قُوَّةُ الْقُوَى *
 قَلَمٌ لَا يَبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يُجِجُ إِذَا أُخْجِبَتِ
 الرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِنًا

في وصف الخطباء

جَلُّوا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيَّةَ وَشَحَذُوا بِهَوَا عَظِيمِ
 الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَتَقْلَوْهَا عَنْ
 سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ دَاءِ الْقُسُورِ وَغَبَاوَةِ الْغَفْلَةِ وَكَادُوا
 مِنَ الْعِيِ الْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
 تَنَالُهُ حَسَّةٌ وَلَا تَرْتَمِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَنْهَشِي فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا
 تَقْخِفُ بَيَانُهُ عُجْمَةً وَلَا تَعْتَزُّ لِسَانُهُ عُقْدَةً * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفَائِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبُ
تَزَيَّنَتْ بِدُرِّ الْفَاظِهِ عَقُودُ الْمَلَحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
لَفْظُهُ عَطَلَ الْبَاقُونَ وَالْدُرُّ * خَطِيبُ مَصْنَعٍ يَنْتَرُ لِسَانُهُ
الْلَوْلُوهُ الْمَكْنُونُ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْنَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
بِآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عِيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
الْمِصْنَعُ الَّذِي تَنَلَّعَبُ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدَّرُّ مِنْ
لَفْظٍ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَشْقَادُ إِلَيْهِ
كَلِمَاتُ السَّحْرِ مُتَسَابِقَةً أَخِذَا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدْرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّاحُ وَثِيرُهَا
الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمَنِيرُهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا
فَنُونُ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُو جَبَلَتِهَا وَأَبُو عُدْرَتِهَا
وَمَا لِكَ أَرْمَتِهَا * يُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ وَتَحْلَى لَبَّاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكِلُهُ غُرَرُ مَنِيرَاتٍ أَضَاءَتْ
فِي وُجُوهِ دُهَمِ الْمَشْكَلَاتِ * عَالِمُ أَقْلَامِهِ نَفَثَاتُ السَّحْرِ *
تَأْكِلُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتُ
الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّاخِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زَمَامُهَا لَدَيْهِ تُشَدُّ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 سُورِدُ اللُّغَةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لِكَ أَعْنِي الْعُلُومَ وَنَاهِجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيْعِهَا وَتَنْبِيْهِهَا النَّاطِمُ لِعُقُودِهَا
 الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا الْعَبِيدُ لِزَهَابِهَا الْعَالِمُ بِجِلَالِهَا وَزِقَافِهَا *
 مَلِكٌ رَقِيَ الْكِتَابَةَ وَالْإِنْشَاءَ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يُتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْمَصْنَفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفَرَقِ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَاةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرِكْ مَعْنًى مُغْلَقًا
 إِلَّا فَتَحَ صِيَاصِيْبَهُ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيَهُ

في وصف البلاء

فُلَانٌ بِجَوْكِ الْكَلَامِ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَيَحِيطُ
 الْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * يَجْنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنْ الْمَعَانِي نِهَاةَهَا * يَعْبَثُ بِالْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ
 زِمَامٌ حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَتَحَاسَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْإِنْشِيَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لِهَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ تَفَكُّ
 سِهَامِ أَفْكَارِهِ الزَّرْدِ * نَاطِمٌ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

الْبَرَاةَ * إِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنْ
الْبَلَاغَةِ الْعَمَلِ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ أَضَاءَ ظِلَامَ
الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَتَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ

في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْدِفُ حَصَى الْفَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُهُوسِهِ وَأَقْبَارِهِ *
نَثَرَهُ سِحْرُ الْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجَبَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ خِلَالِ
أَثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَهَنَّمُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
أَفْكَارِهِ صِبَاحُ * إِنْ نَثَرَ فَالْجُودُ فِي أَفْلَاحِهَا أَوْ نَظْمُ
فَاحْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَاحِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلْبُهُ *
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحَّ انْتِسَابِ وَنَسَقَ الْمُعْجَزَاتِ
نَسَقَ حِسَابِ وَآرَى الْبَدَائِعَ بِيضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ *
إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يُوْخِرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَزَى بِنَظْمِ الْعُقُودِ
وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَفْعِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
بَيَانًا وَآرَى السِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ
الطَّرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَبَوْدُ التَّبَرُّكِ لَوْ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ
الْكَاتِبُ الَّذِي تَفَادُ إِلَى يَرَاعِهِ دَفَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثَرَ كَثْرَ الْوَرْدِ وَنَظَّمَ كَظْمَ الْعَقْدِ * نَثَرَ كَأَسْحَرِ
 أَوْ أَدَقَّ وَنَظَّمَ كَأَلْمَاءٍ أَوْ أَرَقَّ * نَثَرَ كَمَا تَفْخَعُ الزَّهْرُ
 وَنَظَرَ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضْحَكُ عَنْ غُرٍّ وَزَهْرٍ
 وَقَصِيدَةٌ تَطْوِي عَلَى حَبَرٍ وَدُرٍّ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحَرِ عَلَى صَفْحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِهِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسْبُهُ يَطِيرُ
 مِنْ يَدَيِ الْخِفْتَةِ وَيَلْطَفُ عَنْ حِسِّي لِغَلْنِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَنشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سُطُورِهَا * صَحَائِفُ تَنْوِبُ عَنِ الصَّفَاحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تَرْفُثُ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسُ الْفَرَاحِ * صَحَائِفُ الْبَسْمَا
 الْحَبْرُ أَنْوَابًا مِنَ الْحَبَرِ وَدَجَّهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ
 فِي وَصْفِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَشْرَافِ

فَلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصِّمِيمِ * أَصْلُ رَاسِخٍ وَفَرْعٌ شَافِخٌ وَمَجْدٌ بَازِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي فَرَارَةِ الْعَبْدِ وَغَرَسَ نَبْعَهُ فِي مَنبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَبْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةٌ
 رَسَبَ عِرْقُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْدَلَ

عَمُودُهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالِهَا وَتَهَدَّلَتْ ثِيَابُهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ الْهَيْمُ * دَوْحَةُ مَحْجِدِهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْفَةُ * أَمِيرِ لَاعِيْبٍ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعِيدُ
 كُلَّ حَرْ * هُوَ غُرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عَقْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ نَصِيدُ * أَمِيرُ عَيْتٍ مِنْ شَمَائِلِهِ نَسَبَاتُ النَّدَى وَقَطَرَتْ
 مِنْ سَلْسِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِ
 الْفَضَائِلِ * نَازِحُ مَا أَثْنَرُ مِنْ عَقْدِ الْهَائِثِ * أَنْارَتْ بِهِ نُجُومُ
 الْعَالِي وَشُمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَازِخٌ تُعْقَدُ بِالْجُودِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدُهَا وَمَلَكْنُهُ طَرِيفُهَا وَتَلِيدُهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعٍ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَهْدَرُ مِنْ سُلَالَةٍ أَكْبَرِ وَرُقَاةِ
 أَسِرَّةٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدْيِ الْعَجْدِ وَمُقْتَرِشُ حَجَرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضَيَّقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفْرُغُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَا
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْيُسْرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تَتَجَبَّرُ مِنْ
 أَنْامِلِهِ وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلِقَ مِنَ الْفَضْلِ وَشِيمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَجْدِ * أَرَجَ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ النِّساءُ عَنِ الْإِتيانِ بِبَيْتِهِ * مَا لَهُ
لِلْعَفَاةِ مُبَاجٍ وَفَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مُصْبِحٌ * مَنَاقِبُ
تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ وَتَتَهَادَى أَنْبَاءُهَا وَفُودُ
الرِّيحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَكْتُ الْبِسْكَ فَنِيَقًا
أَوْ صَبَّحْتُ الرُّوضِ أُنِيَقًا * هُوَ رَأَيْشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةُ عَقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ النُّجْمِ
وَأَمَدَ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
الْفَرْقِدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الْجُوزِ آءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَلَيْلَةُ التَّمِّ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ * هَطَلَتْ عَلَى سَحَابِ عَيْنَيْهِ وَرَفَرَتْ
حَوْلِي أَجْنَحَةُ رِعَايَتِهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جَوْرِ الْأَيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَأَسْتَنْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقْتَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
أَسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * نَتَابَعْتُ نِعْمَهُ نَتَابِعُ الْقَطْرِ
عَلَى الْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنْهُ تَرَادُفُ الْبُسْرِ إِلَى ذِي الْقَفْرِ *
لَهُ أَيْادٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَفَاقَ وَطَوَّقَتْ الْأَعْنَاقَ * أَيَْادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَأَسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْخُرَّ * مِنْ تَوَالَتِ تَوَالِي
الْقَطْرِ وَأَتَسَّعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَأَثْقَلَتْ كَاهِلَ الْخُرَّ *

عِنْدِي قِلَادَةٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ جَعَلْتُهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَّوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطْوَأَقُ
 فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادِي يُفَرِّضُ لَهَا الشُّكْرَ وَيَجْتُمُّ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَيَجْتُمُّ * أَيَادِي تُثْقِلُ الْكَاهِلَ وَمِنْ شُعْبِ
 الْأَنَامِ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرٍ مِنَ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعٍ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرْوَعِ *
 أَيَادِي لَا تُخْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَرٌ عَزَّ عَلَى النَّفُوسِ مَسْمُوعُهُ وَأَثَرٌ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
 خَبَرٌ تَسْنُكُهُ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرْتَجُّ بِهِ الْأَضَالِجُ * مُصَابٌ
 فَضَّ عُقُودَ الدَّمُوعِ وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابٌ
 أَذَابَ دُمُوعَ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّتْ سَحَابٌ الدَّمُوعِ الْغِزَارُ
 وَأَسَدَّتْ مَسَالِكُ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رَزَمَتْ نَكَاتُ الْقُلُوبِ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَى الْأَكْبَادَ وَقَرَحَهَا فَالْدُمُوعُ وَكِفَةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَا تَنَّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
 سُوقُ الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ السَّهَابَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
 الْحَسَنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
 رَزَمَتْ لَهُ الْأَحْسَاءُ مُحَرِّقَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَا عَمَّا غَرِقَةً وَالْدَّمْعُ
 وَكَفَتْ وَالْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْصُودًا وَمَا أَكْرَمَهُ
 مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ الْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ النُّجُومِ
 النَّوَاقِبِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْمَعَالِي وَالْحَسَنِ وَأُتْنِي عَلَيْهِ بِثَنَاءِ
 الْمَسَاعِي وَالْمَآثِرِ * مَضَى وَالْحَسَنُ تَبَكُّيهِ وَالْمَنَاقِبُ
 تَعَزِّي الْعُيُونِ فِيهِ * كَانَ مَنَزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْسَرَ
 الْأَشْرَافِ وَمَنْجَعِ الرُّكْبِ وَمَقْصِدِ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
 تَزَاحُمِ الْمَوَاقِبِ تَحَاشُدِ الْمَآثِمِ وَمِنْ ضَمِيحِ الْبِدَاءِ وَالصَّهِيلِ
 عَجِيجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِفَقْدِهِ
 وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَسَنُ قَدْ قَامَتْ
 نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَأَقْتَرَنْتَ مَصَائِبَهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيْدِي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَأَمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْحَرِّ وَأَدَامَ لَهُ الْمَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِهِ الشَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ نَاطِقَةً وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مَطَاطِقَةً وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً *
أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْجَبِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيُخَيِّ مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُسَيِّرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَائِبِ مُوفِيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُتَابِعُ لَهُ لَيَّامَ الْعَلَاءِ وَالْغِبَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْخِدْمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَكْرَعَ أَصْنَافُ
الْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبِ الرُّؤُوسَ
الْمَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ النُّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي لَا يُرَامُ * لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَايَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
 إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
 عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمَهِيدَهُ وَبَسْطَنَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
 لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ نَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ وَمَا
 بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
 مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْخَفِيَّةِ بِمَا
 يَدْفَعُ عَنْ حَوَازِيهِ نَوَائِبَ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَيِّ
 الْمَكْرُوهِ نِهَآيَةَ الْعُجُوبِ



داخية	٣٦٦٢٢
فنية	٦ هـ
تاريخية	٦٦ ح

